كلمة العدد

من الزبارة إلى الصرح الجديد

بقلم سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

الثقافة هي أبرز مظاهر الحضارة والتقدم والرقي . . والتراث الثقافي لأي أمة هو عقلها ووجدانها وضميرها والمقياس الدقيق الذي يقاس به مدى تقدمها على درب التطور والنماء . . وقد أدرك آل خليفة هذه الحقيقة منذ زمن طويل . . فعندما أسسوا دولتهم في الزبارة حولوها إلى مركز أو معهد للعلماء والمثقفين في العالم العربي وقصدها المثقفون والعلماء من كل صوب، وتحولت إلى مركز ثقافي متميز في المنطقة كلها . . وفي ظل احتضان آل خليفة لهؤلاء العلماء أبدعوا الكثير من الآثار التي مازالت الأجيال تتناولها حتى الآن بكل الفخر والتقدير . . من هذا المنطلق حرص جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك البحرين على التمسك بهذا المنهج الفريد . . فكان أن تأسس في عهده الميمون مركز

عيسى الثقافي الذي يحمل اسم والده المغفور له صاحب العظمة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة - رحمه الله - الذي غرس البذرة الأولى لإقامة هذا الصرح الشامل ليكون عنواناً على العصر ومنارة تصل الحاضر الزاهر بالماضي التليد وعنواناً على الحكم الرشيد الذي يعتمد على الرقي بالإنسان البحريني وتنمية قدراته وملكاته . . إيماناً من الحكم الرشيد أن الدولة التي تعتمد على عضلاتها دولة تعيش في غياهب الجهل . وأن الدولة التي تعتمد على عقلها هي دولة صانعة الحضارة، صانعة التاريخ .

لقد حرص جلالة الملك حمد على افتتاح هذا الصرح بنفسه ليؤكد للجميع مدي الثقل الذي يوليه جلالته لهذا القطاع الهام والحيوي من قطاعات النشاط الإنساني . . إن الذين تابعوا خطوات إنشاء هذا المركز الفريد يشهدون بكل الصدق بمدى الدعم الذي لقيه من جلالة الملك المفدى ومدى الاهتمام الذي كان يوليه للمشروع منذ كان فكرة، ثم لبنة، ثم صرحاً شامخاً اليوم . . لم يبخل عليه بالمال أو الدعم أو المشورة . . وكانت نصائحه دوما دليل طريق يصحح المسار ويدفع بالجهد دفعاً حتى اكتمل العمل بالصورة المرجوة من هذا الصرح الهام .

إن المسيرة الطويلة التي بدأت من الزبارة ووصلت إلى مركز عيسى الثقافي لتؤكد موقع الثقافة من اهتمام ملكنا وحكومتنا وشعبنا . . فمن خلال هذا النشاط تبنى الأمم بناءً راسخاً وتنهض بوعي أبنائها وإلمامهم بمعطيات العصر . . لقد توفر للمركز الجديد كل ما أبدعه العصر من تكنولوجيا وتوفر له كل ما وسعه الجهد من معالم الثقافة في شتى مناحي المعرفة، ليكون منارة على عصر كامل، وليكون دليلا يقود الإنسان البحريني لتحقيق آماله الرحبة في مستقبل واعد له ولأبنائه ولأحفاده من

بعده . . إن أبناء البحرين لم يعودوا الآن في حاجة إلى أن يقصدوا أوروبا أو الشرق بحثاً عن مرجع أو كتاب أو مصدر . . وإنما أصبح لديهم مركزهم الخاص الذي لا يقل عن أي مركز مماثل في المنطقة العربية كلها يشع بالمعرفة وينطلق بالجهد الكبير الذي بذل والذي سوف يبذل بإذن الله حتى يصبح هذا المركز محققاً لطموحات لا تقف عند حد .

والله ولي التوفيق

عبد الله بن خالد آل خليفة

جلالة الملك في افتتاح مركز عيسى الثقافي :

المركز يحمل إسم والد الجميع قائد مسيرتنا الحديثة

صاحب العظمة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة

شهدت البحرين مؤخرا حدثا تاريخيا شديد الأهمية منذ قام جلالة الملك المفدى حمد بن عيسى آل خليفة ملك البحرين بافتتاح مركز عيسى الثقافي ليكون منارة جديدة تضاف إلى منارات التقدم والتحديث التي ترتفع كل يوم في سماء بلادنا مشيرة إلى ما يبذل من جهد للنهوض ببلادنا الحبيبة والاندفاع بها على ركب التقدم والحضارة في سياق فتي وواع وحكيم مع معطيات العصر . وقد حضر الحفل صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة وصاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد بن عيسى آل خليفة . وتفضل صاحب الجلالة بافتتاح المركز الجديد تأكيداً لما يوليه جلالته للثقافة من اهتمام باعتبارها عقل الوطن والدرب الذي يقوده إلى المستقبل المأمول . وقد تفضل جلالته فقدم كلمة هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب السمو . .

الحضور الكرام . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعون من الله، يسعدنا أن نفتتح اليوم مركز عيسى الثقافي، هذا المشروع الحضاري الذي يحمل اسم والد الجميع، قائد مسيرتنا الحديثة المغفور له بإذن الله صاحب العظمة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة – طيب الله ثراه – عرفاناً بما تقدم في عهده الميمون من منجزات جليلة لثقافة وطنه وتقدمه وارتقائه تيمنا بذكراه العطرة من أجل ترسيخ وتأصيل البعد



نريد للمركز أن يكون كما كانت البحرين منذ فجر نهضتها مركز إشعاع حضاري

الثقافي لنهضتنا المعاصرة، وتجاوباً مع تطلعات المواطنين البحرينيين الذين يعتبرون الثقافة ثروتهم الوطنية الكبرى والثروة البشرية القادرة على البقاء والصمود في معترك التحضر عندما تتلاشى وتضمحل الثروات الأخرى . فنحن نريد لمركز عيسى الثقافي أن يكون كما كانت البحرين منذ فجر نهضتها، مركز إشعاع حضاري، منفتحاً على مراكز الفكر الرصين في العالم ومستوعباً

لكل جديد ومفيد من العطاء الإنساني، وأن يبقى رمزاً على مر الزمن لتقدم البحرين ورقيها .

ويطيب لنا أن ننوه بجهد معالي الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة رئيس مجلس أمناء المركز في البناء والتأسيس للمركز والمكتبة الوطنية ومتابعة تنفيذ مشروعها، بالإضافة إلى كل من ساهم في دعم هذا المشروع الحيوي، الذي يقدم نموذجاً لما يمكن أن يقدمه "الاقتصاد المتكامل" بين القطاعين العام والخاص من إسهام وطني في مسيرة التنمية والنهضة في البلاد .

إننا نتمنى كل توفيق وسداد لمركز عيسى الثقافي في إغناء الثقافة البحرينية والعربية والإسلامية والإنسانية كإنجاز ثقافي وطني نفتخر به .

وبذكر العلوم الإنسانية يعلم الجميع أن والدنا – رحمه الله – هو بالفعل ملك الإنسانية والطيبة، فكان بذلك خير من مثّل شعبه ومملكته .

وفقكم الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

In the name of Allah, most merciful most gracious.

Dear dignitaries,

Dear audience,
"Assalamu alaykom wa rahmatu Allahi wa barakatuh. "

With allah's assistance, it is our pleasure to launch Shaikh Isa Cultural Center today. This distinguished civilizational project that bares the name of everybody's father, the leader of our modem march, the late Emir his majesty Shaikh Isa Bin

Salman Al-Khalifa. In recognition of the grand achievements that our homeland had known during his era. The launch of the edifice translates our attachment to his ideals so as to deepen and originalise the cultural dimensions of our contemporary development. It is also a reciprocity to Bahrain people expectations who look upon culture to be their greatest national preaches and the human resource that is prone to subsist and resist to the current challenges; and at times when other riches get used up. We would like this center to play the part Bahrain used to have since the dawn of its development and to keep on being the center of civilizational enlightenment and open to global thought and everything novel and beneficial; that emanates from the human intelligence.

It is also our pleasure to hail the chairman of the board of trustees, Shaikh Abdullah Bin Khalid AIKhalifa for his efforts in building and establishing the center as well as the National Library and his following up the execution of the project. I would like also to extend my thanks to all those who supported this vtal project which stands a specimen for the potentialities of what "a comprehensive economy" may provide, both in private and public sectors. This would booster the development march and the progress of our country. We hope every success for Shaikh Isa Cultural Center in reaching Bahraini, Arabic, Islamic and human cultures. As a national cultural achievement, we take a tremendous pride in it. By way of mentioning human sciences, everybody knew that our father, mercy be upon him, was actually the king of the entire humanity and a symbol of kindness. He had been accordingly the best representative of his people and his kingdom.

حمد بن عيسى ذو الفخار

وفي حفل الافتتاح الذي حضره صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة وصاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة قدم سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة نائب رئيس الوزراء وزير الشئون الإسلامية رئيس مجلس أمناء المركز قصيدة ترحيب وإشادة بجهود جلالة الملك جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم إله العـرش ربِّي بدأتُهـا	وبالحمد والشكرِ الجزيلِ نظمتُها
أحييك يا خير الملوك وفخرهـا	وأصلبهـا عـوداً إذا جدَّ جدُّهـا
من المغرب الأقصى أزف تحيتي	إليك أبا سلمـان راجٍ قبولـهـا
حمد بن عيسى ذو الفخار مليكنا	من حبـه ملك القلوبَ جميعهـا
ملك حبـاه الله حلمـاً وحكمـةً	يدير بهـا حكم البـلاد وأمنهـا
فيعفو عن الجاني بكل سمـاحـة	ويهديـه للنهج السليم اتباعُهـا
وكم فتنة حمقـاء أطفى فتيلَهـا	بحلـم فأمست والسلام شعارُهـا
يعم اليتامى والأرامـل خـيرُه	ومكارمٌ للشـعب يمطـر غيثُهـا
أقمت رعاك الله إصلاحك الذي	به عمَّت الخيراتُ كلُّ ربوعِـهـا
فتاهت به البحرين جذلاً وعمُّهـا	من الله توفيـق وعـدل يسودهـا
وحققتَ في القرن الجديد حضارةً	تضاهي بلاد الغرب في حسناتها
وطهرتها من كل رجس فأصبحت	تشع كنور الشمس حين طلوعها
في عهدك الميمون أضحتْ بلادُنـا	منـارة علـم يُهتدى بسنانـهـا
بلاد حباهـا الله عـزّاً وسؤدداً	ونالت من العلياء أسمى مكانها



سعادة الشيخ
عبد الله بن
خالد آل خليفة

تعالت مناراتُ الهدى في سمائها ... ومعاهدٌ للعلم شعَّ ضياؤها
والجامعات تفتحت أبوابُها ... وتكاثر الطلابُ بين صفوفها
ومركزُ عيسى للثقافة شاهدٌ ... بأنك ترعى للعلوم اكتمالَها
ومكتبة الشيخ عيسى بفضلكم ... تضم كنوز العلم فوق رفوفها
مصادر من كل اللغات تجمعت ... لطلاب علم يدرسون متونها
ثواباً لعيسى غمّد الله روحه ... بجنات عدن خالداً بنعيمها
وأثني على رأس الحكومة شاكراً ... خليفة بن سلمان مُرسي أصولها
وأشكر ولي العهد سلمان الذي ... بهمته القعساء يبني اقتصادها
سعدنا بتشريف المليك لحفلنا ... وأيد بالفتح المبين اكتمالها
وأختم بالشكر الجزيل لكل من ... أعان بمال أو بجهدٍ قيامها

عبد الله بن خالد آلُ خليفة

تحقيق لبعض ما ورد في التحفة

الجزء الثاني





١٨ . الوثيقة

هذه الدراسة

عرضنا في العدد الماضي من الوثيقة – العدد الرابع والخمسون – للجزء الأول من هذه الدراسة التي أعدها الدكتور علي أباحسين في تحقيق لكتاب التحفة النبهانية، وذلك لما لهذا الكتاب من أهمية كبرى لأي دارس لتاريخ البحرين . ونعرض اليوم في هذا العدد الجزء الثاني من هذه الدراسة الهامة . . وإذا كان الجزء الأول قد تعرض بالشرح لموقع البحرين وطبيعة أرضها ومناخها وحاصلاتها وأساليب الغوص عن اللؤلؤ وتقاليده وبعض الحيوانات البحرية المشهورة والجزر التي تنتمي للبحرين، فإننا ننتقل في هذا الجزء إلى شرح لأشهر مدن وقرى البحرين وأشهر من أقام بها من السكان لننتقل في الجزء الثالث والأخير من هذه الدراسة في العدد القادم بمشيئة الله لذكر من تولى حكم البحرين منذ الهجرة النبوية وحتى فتح آل خليفة لهذه البلاد في بداية فبراير ١٧٨٣م . وبالله التوفيق

الوثيقة

النبهانية عن تاريخ البحرين

بقلم : الدكتور علي أباحسين

المعادن :

يوجد في البحرين الجص والنفط والقير عند (جبل الدخان) والأخيران غير مستخرجين . وفي البحر اللؤلؤ واليسر .

الصناعة :

تنسج بالبحرين بعض العبي ومن المصنوعات اليدوية المنطرقات من النحاس والصفر والحديد . وتنسج المدات (نوع من الحصر) ويسفر منها إلى الخارج مبالغ مهمة وعلى الأخص نحو العراق حيث أن جميع المساجد في العراق مفروشة منها . ولهم مهارة تامة في صنع السفن الشراعية الكبار .

صادراتها :

يصدر من البحرين اللؤلؤ وهو الأهم . والصدف ثم السلوق (البلح المسلوق) والروبيان والسمك المجفف والترنج والمدات (نوع من الحصير)[1] .



الوثيقة ١٩٠



غير متقدمة إلا في اللؤلؤ . وأما تجارتها الداخلية فنظراً لقلة طرق المواصلات فهي متأخرة، أما التجارة البحرية ولو أنها غير عظيمة إلا أنهـا كافية لترويج أشـغالهم ونقل بضائعهم .

الآثار أو الأماكن المأثورة

قرية عسكر :

هي على مسافة ساعتين ونصف للراكب من المنامة جهة الجنوب. وأول من سكنها من العرب (آل أبى سميّط) بالتصغير ثم ظعنوا عنها وسكنوا (لنجه) بلدة بفارس . فنزل قرية عسكر بعض (آل أبى عينين) وهم بها إلى اليوم وبهذه القرية ضريح (صعصعة بن صوحان العبدي) وهو مخضرم . قال أبو عمر كان صعصعة مسلما في عهد رسول الله ﷺ ولم يره : قلت وله رواية عن عثمان وعلي وشهد (صفين) مع علي وكان خطيبا فصيحا وله مع معاوية مواقف : وقال الشعبي : كنت أتعلم منه الخطب : وروى عنه أيضا أبو إسحق السبيعي والمنهال بن عمرو وعبد الله بن بريدة وغيرهم . وذكر العلاء في أخبار زياد أن المغيرة نفى صعصعة بأمر من معاوية من الكوفة إلى جزيرة أوال من البحرين فمات وأنشد له المرزبان :

هلاً سألت بني الجارود أي فتىً   عند الشفاعة والبان ابن صوحانا
كنـا وكانـوا كأم أرضعت ولـداً   عقاً ولم تجز بالإحسان إحسـانا

وأما أخوه (زيد بن صوحان) فإنه توفى بالكوفة في وقعة الجمل بعد أن قطعت يده وهو الذي عناه النبي ﷺ بقوله : وأما زيد فرجل من أمتي تدخل الجنة يده قبل بدنه . وكانت على ضريح صعصعة قبة ثم تهدمت ولم تعمر .

وفي جنوب ضريح صعصعة قبر (الشيخ الجوّي) وهو من صلحاء قرية (جو) دفن هناك بوصية منه..

ومشهور عند أهل البحرين أن من خصائص قرية عسكر عدم دخول الطاعون فيها . ويعدوها كرامة لصعصعة ﷺ : وفحص عن ذلك فلم يسمع منذ سكنتها العرب أن أحدا مات بها مطعونا قط . والله يختص برحمته من يشاء .

قرية المالكية :

وهي جنوب البدَيّع على مسافة نصف ساعة منها . وبها (قبر الإمام زيد) ولم أجد أحدا يعرف اسم أبيه لنعرف من هو سوى أن أهل البحرين وبالأخص أهل تلك القرية يعظمونه ويتبركون به ويقولون أنه صحابي- فأقول لعله زيد بن عميرة لأنه من أهل البحرين ومن المخضرمين، ومن أصحاب العلاء بن الحضرمي، الذي فتح البحرين (كما سيأتي في الباب الأول) وقال في كتاب الإصابة : زيد بن عميرة العبدي له صحبة قاله أبو عمر ولم يزد ثم قال : وأظنه الكندي. وروى الحارث بن أبي أسامة من طريق الجارود أنه قرأ في نسخة عهد العلاء بن الحضرمي وشهد زيد بن عميرة .

وأيضا أخرج الحارث بن أسامة من طريق المسور بن عبد الله الباهلي عن بعض ولد الجارود أنه أخذ هذه النسخة من نسخة عند العلاء ابن الحضرمي حين بعثه النبي ﷺ إلى البحرين وشهد معاوية وعثمان والمختار بن قيس وقصي بن أبي عميرة وفي رواية ابن أبي عمرو، وسعد بن عبادة والضحاك بن أبي عمرو . وشبيب بن أبي مرثد وفي رواية ابن قرة والمستنير بن أبى صعصعة الخزاعي وعوانة أو عبادة بن الشماخ الجهني وسعد بن مالك وسعد بن معاذ (وزيد بن عميرة العبدي) . قلت فإذا كان العلاء هو الفاتح لهذه الجزيرة وقد استشهد ببعض أهلها وزيد المذكور هو في ضمن من استشهد بهم وهو أيضا عبدى وسكنى العبديين البحرين فيحتمل والله أعلم أن زيد بن عميرة هو

المشهور اليوم في أفواه أهل البلدة (بالأمير زيد) ويقولون أنه صحابي . والله أعلم .

جبل حيان أو قرية جبل حيان

هي شبه جزيرة واقعة في الجهة الجنوبية الشرقية عن (عسكر) وتسكنها اليوم قبيلة الدواسر زمن الشتاء وفي وسطها جبل وبأعلاه ضريح مشهور (بقبر حيان) وهو معظم أيضاً عندهم .

فلعله حيان بن مازن لأن مازنا صحابي ومن أهل عمان ورئيسها ويحتمل أنه أرسل ابنه حيانا إلى (جزيرة أوال) عاملا عليها . وقصة مازن مشهورة عندهم (وهي) : أن أول من أسلم من أهل عمان هو مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مره بن حيان بن مره بن أبي بش بن حطامة بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث ابن طي . وكان يسكن (قرية سمايل) ويعبد صنما يقال له (ناجرا) فذبح له شاة ذات يوم وقربها إليه فسمع صوتا من الصنم يقول :

يا مازن اسمع تسـر ظهر خير وبطن شر
بعث نبي من مضـر يدين بدين الله أكبـر
فدع نحتا من حجـر تسلم من حـرٍّ سقر

ففزع من ذلك وقال : إن هذا لعجب . ثم قرب قربانا آخر فسمع صوتا آخر من الصنم يقول :

يا مـازن اقبـل تسمع مالا تجهـل
هـذا نبي مرسـل جـاء بحق منزل
فآمن بــه تعـدل عن حر نار تشعـل
وقودها الناس والجندل

فقال : إن هذا لهو العجب وإنه لخبر يرادني . فبينما هو كذلك إذ ورد عليه رجل من أهل الحجاز يريد ماء فسأله ما الخبر وراءك فقال أنه ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يقول لمن أتاه أجب داعي الله فليس بمستكبر ولا جبار ولا مختال . أدعوكم إلى الله وترك عبادة الأوثان . . . الخ .

فقال مازن والله نُبوء ما سمعته من الصنم فوثب إلى الصنم فكسره جذاذاً . وتوجه إلى رسول الله ﷺ . فلما قدم سأله عما بعث إليه فشرح رسول الله ﷺ له الإسلام فأسلم ونوّر الله قلبه ثم قال للنبي ﷺ أدع لي ولأهل عمان فقال : اللهم اهدهم وثبتهم . فقال زدني وجعل يعرض مقاصده من الدنيا تفصيلا ويطلب الدعاء من النبي ﷺ إلى أن طلب ولدا ورزقه بعد حين وسماه (حيانا) ثم إن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل عمان كتابا . . الخ كما وضحناه في تاريخ عمان . فيظهر لي والله أعلم أن حيانا هذا هو المدفون في هذا المحل . وقيل أنه ابن محصن .

النبيه صالح

توجد جزيرة بين قرية أم الحصم[٢] وبين سترة قرب (الماحوز) فيها قبر يسمونه (قبر النبيه صالح) والعوام يقولون قبر النبي صالح وعند قرب القبر كهف يزعمون أن فصيل ناقة صالح دخل فيه . ولم أطلع على حقيقة صاحب هذا القبر .

المشهد

يوجد غربي المنامة من جهة الجنوب على مسافة نصف ساعة منها موضع يسمى (سوق الخميس) يجتمع فيه أهل البلدة في كل خميس للبيع والشراء حتى اليوم . وعنده عين نبّاعة كالزلال تسمى (أبا زيدان) ومبنى على نصف ظهرها مسجد صغير للصلاة، وشماليه على مسافة نحو ١٠٠ ذراع آثار مسجد

آخر . وفي جانبه أطلال مدرسة قديمة لم يبق منها سوى بعض جدرانها[٣] وبعض اسطوانات مدورة منحوتة من صخار عظام ومكتوب على الجدران نقرا في الحجارة بخط كوفي .

وعندها منارتان متقابلتان شرقا وغربا طول كل واحدة منهما نحو ٧٠ ذراعا. وتسمى هذه الأطلال (المشهد)، فوصلته وصعدت المنارة الغربية وكتبت اسمي نحتاً في أعلى حجر في داخلها ووجدت عدد درجها إلى الدائرة الثانية مائة درجة . وعلى باب المنارة الغربية حجر مكتوب بالخط الكوفي، ولكن عسر عليّ قراءته لأن المدرسة المتهدمة ردمت باب المنارة حتى دفن معظمه فصار الحجر عند الأرض وجعل الصبيان يلعبون فيه بالدق حتى تثلمت غالب الكلمات فعسر علينا قراءتها . ولم يكن معي في ذلك اليوم آلة الرسم (المخيلة) لآخذ رسمه وأتفحص بعد ذلك في كتابته .

وهذا المسجد والمدرسة مع المنارتين الجميع من بناء عمر بن عبد العزيز الأموى[٤] .

المراقيب

توجد في شمال غرب الرفاع أرض واسعة الفضاء تسمى (المراقيب) . وفيها آثار قبور قديمة دارسة كأنها قرى متفرقة وكل قسم منها يحتوي على نحو ٣٠٠ قبر فأكثر . وقد نبت فوق هذه الأرض من طول مالبثت شجر العوسج والشيح والقيصوم والجثجاث والجعدة ونحوها من الأعشاب البرية .

فنقول : يكاد أن يكون من المحقق أن ضفاف (خليج البصرة) كانت أول موطن للإنسان في عهد حضارته وإن شئت فقل بداوته الأولى .

ويرى بعض العارفين الذين حاولوا درس طبيعة البحرين أن هذه الجزيرة كانت على الراجح مهد السلالة البشرية بعد ارتقائها في سلم الحضارة . حيث أن مجموع المدافن التي تملأ ربواتها رحاب الصحراء وتمتد إلى مالا يدرك

الطرف آخره، حيرت كل من وقف بها من السياح يحاول كنه حقيقتها . ولقد أمها الناس في كل عصر وزمان وجاسوا خلالها من الأسود الذي ربما كان جد الإنسان المدني إلى الكلداني فالبابلي فالفينيقي فاليوناني فالفارسي فالعربي : وتكاد تسمع وقع أقدامهم على مر الدهور، ومع ذلك لم يتركوا لنا أثرا يأتم به المستهدون منا أو قبسا يستضيء به المعتسفون في دياجير التاريخ . ويقال أن آخر مرة ذكر التاريخ فيها جزيرة البحرين هو يوم زارها (نيارخوس) في رأس الأسطول اليوناني عملا بأمر مولاه الإسكندر الأكبر .

ولم نعلم حتى اليوم حقيقة هذه القبور ولم يتحقق لدينا زمن بنائها ومن هو المؤسس لها . ومن الراقدين بها وعلى أي دين كانوا يتعبدون به : ويستفاد من أقوال بعض المؤرخين أن المدفونين فيها هم من أصل فينيقي هجروا أوطانهم وقطعوا فيافي بلاد العرب وحلوا بهذه الربوع وبنوا في البر (بلدة الخط) قرب مدينة القطيف الحديثة . وكانت مدينة عظيمة فيها أسواق تجارية رائجة تسمى (الجرعاء) التي يظنها البعض أنها نفس مدينة (أوفير) الشهيرة بكثرة ذهبها والغنية بمعادنها .

فهل اعتقد سكان الجرعاء أن البحرين قطعة مقدسة التربة حتى نقلوا إليها جنائزهم ودفنوها فيها (كما يفعله اليوم الشيعة في نقل جنائزهم إلى كربلاء والنجف) أو لأنها قريبة من البحر وهي مركز التجارة وأن تلك المدافن هي قبور أولئك السكان . وأقيمت تلك المقبرة الغريبة قبل أن يبارحوا الوطن ويتوغلوا في قلب بلاد العرب . أو قبل أن يمصر أهل الجزيرة أرض الكلدان وينشئوا فيها مهجراً ويقيموا مستعمرة . فهذه المسائل لا يستطيع الإنسان أن يبت فيها رأيه لقدم عهدها وغموض أسرارها . وأن المستر (بنت) فتح بعض القبور وعثر على بضعة آثار فانتقى منها شيئا وبعث بـه إلى المتحف البريطاني . وبعد إمعان لجنة المعهد فيها وتدقيق فحصها استقر رأيها على أنها من أصل فينيقي وعليه فتدل هذه الآثار على أن القبور قديمة جدا . فإذا

سلمنا بتلك الدلائل واعتبرناها صحيحة فتكون القبور قد بنيت على الأقل منذ نحو خمسة آلاف سنة . هذا إذا كان (رولنسن) قد ضبط حسابه في تاريخ الهجرة إلى البحر المتوسط .

وأن الخط المسماري قديم جدا عند سكان بابل وكان للفينيقيين ضرب من الكتابة تشبه الحروف . ولما اكتشفت صناعة الكتابة وأخذ الناس يستعملونها في التدوين والتسجيل تركت الكتابة المسمارية . على أن الباحث مهما نقب في تلك المدافن لا يعثر على شيء من قبيل الحفر أو النقش على صخورها أو على أحجارها مع أن الفينيقيين عندما ألقوا عصى ترحالهم في البحر المتوسط، أخذوا يقلدون المصريين في وضع موتاهم في (نواويس) . ولكن الباحثين لم يعثروا على (ناووس) واحد في تلك المدافن ليتخذوا منه دليلا على تاريخ سالف لزمان الجلاء . وهناك أمر آخر يستحق التدبر والتروي وهو أن أحد الباحثين قال - حين اكتشف البقعة وتدبر ما فيها - أن جميع القبور التي فتحت بجنب (رفاع الشيخ علي)، أي الرفاع القبلي، وهي قبور أعلى من سائر القبور التي وراءها بنحو ٢٠ قدما هي على رأيه أحدث من غيرها . ومما يؤيد ذلك أن هذه القبور قائمة على طرف المقبرة الفسيحة الأرجاء القديمة العهد ويظهر أنها آخر ما شيد وأقيم هناك.. وكتب القائد (دوراند) مانصه : (إن الآكام العالية هي قريبة من قرية علي (عالي) وهي أكبر من غيرها .

وذكر (فنيرخوس) الذي تولى قيادة أسطول الإسكندر الكبير في سفرته الشهيرة إلى خليج العجم يصف كيف أنه زار مدينة فينيقية في البر وجزيرة تدعى (ترين) ويظهر أنها هي التي تسمى اليوم (دارين) عند العرب وهي فرضة بالبحرين . وقد رأى هناك قبر (آرش) الذي كان سلطان الخليج . ووصف (نيرخوس) المدافن بقوله (رابية مرتفعة كثيرة النخل) فهذا الوصف ينطبق على إحدى تلك الروابي العالية بقرب قرية علي (عالي) بخلاف سائر

الروابى فإنها لا تنطبق عليها وهي بعيدة عنها أميالا عديدة بيد أنه لا يوجد الآن نخل وهو لاشك مات لتقادم عهده .

وهذه الرواية تؤيد أن الآكام الكبيرة بنيت في العهد الأخير والدليل على ذلك أن اسم الشخص المدفون في إحداها ذكر في زمن (نيرخوس) رفيق الإسكندر المقدوني عندما شاهدها ويظهر أنه لم يبحث أحد في هذا الأثر منذ ذلك الحين، حتى قام الضابط (ديورند) الذى رفع أخيرا إلى درجة (دوق — أمين) وجعل يبحث فيها :

وصف المدافن

خلاصة ما شهدناه وما قاله الصحافيون، وهو أن كل مدفن يشتمل على حجرتين الواحدة فوق الأخرى مبنية من قطع صخور ضخمة ولا يبعد أنها قطعت (من جبل الدخان) ويوجد فيها أيضا على جوانبها حجر ومعابر مشبعة بطين في غاية الإتقان، ولا يوجد بها عقود ولا دعائم . ويظهر أن الحجر قد بنيت قبل أن يبنى سائر ما يحيط بها من البناء . وهذا البناء محكم مجصص وله طبقات مرصوفة من التراب وصغار الحجارة وكأن هذه المدافن قد أقيمت لمقاومة الدهر وصد آفاته . فمحيط أساس أكبر التلال نحو ٥٠ ذراعا وقد عثر القائد (دورند) على هيكل بشرى في الحجرة السفلى طوله نحو تسعة أقدام صغير الجمجمة منخفض الجبين واسع حرف حجاج العين (المحجر) وعندما عرضت الجمجمة للنور والهواء تكسرت كسرا عديدة . وأن رؤية بعض عظام الهيكل تدل على أن أصحابها دفنوا وهم جلوس ويظهر أنهم كانوا من وجوه الأمة وسراة القوم . وكان دفنهم يجرى على خلاف ما كانت تدفن العامة . على مثل ما هو جار اليوم عند النصارى في دفن (البطاركة والمطارنة والملافنة والأساقفة) وسائر الرؤساء الروحانية منهم غير أن ذلك يحتاج إلى بحث دقيق

وفحص كثير (وسنعود إن شاء الله إلى البحث في هذا الموضوع في الطبعة الثالثة) وقد اكتشف حديثاً في المنعطفات قطع من عظام بنى آدم :

أما الحُجَر العليا (الفوقانية) فقد وجد فيها عظام كبيرة من عظام الخيل : وأيضا وجد فيها قطع من معدن يشبه الصفر والنحاس . وشقف وخزف خشنة غير مصقولة وقشور بيض النعام وبعض آنية مصنوعة من العاج وتماثيل وغير ذلك من الأدوات المختلفة الأشكال . وفي أرض حجر بعض المدافن شيء كثير من عظام اليربوع . ومقدار وافر من العظام الصفر قد دفنت هناك منذ قرون عديدة (ويفهم أنها نقلت تلك العظام من محل آخر إلى هذه المقابر) :

وقد نقبت أغلب تلك الحُجر تنقيبا دقيقا طمعا في العثور على آثار ذات شأن جليل ولكن جل ما وجد فيها هو بقايا سجف وستور قد تحولت إلى كوم من التراب لطول عهدها . وهناك أيضا قطع أخشاب مسوسة . أما البناء فهائل جدا وجرمه عظيم لكن لم يعثر فيه على الأدوات التي كانت تستخدم في الحفر والبناء . بل ولم يعثر على رسوم أو نقوش أو كتابة . غير أن هناك شقوقا وأخاديد ونوعا من الخنادق القليلة الغور قد حفرت حول أساس كل مدفن وقيل : أن أول من فتح بعض تلك المدافن وباشر بالحفر والتنقيب فيها هو المنكب (اليوزباشي دورند) عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م ثم (بنت) ومعه قرينته وجعلا يحفران وفتحا مدفنين سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م . وفي سنة ١٣٢٢هـ زار جماعة من البلجيك البحرين وتفقدوا القبور وفتحوا أحدها ولم يبلغنا نتائج أبحاثهم . وقد حفر معتمد إنجليزي في البحرين (بريدكس) بعض المدافن قرب (رفاع الشيخ علي) واشتغل فيها عدة أسابيع وفعل مثل ذلك قرب (المنامة) وجمع قسما مهما من الرفات وبعض قطع من العظام البشرية وغيرها من الآثار وبعث بالكل إلى (متحف) لندن . وأحدثهم عهدا بها (بالبحرين) الإنجليز وقد سبقهم إليها العرب فالبرتغال فالفرس فالهنود فالرومان فاليونان فالفينيقيون فالبابليون فالكلدانيون فأصحاب الرؤوس السود الذين هم أول من مدُّ رواق التمدن والعمران

البشرى على وجه البسيطة وعليه فيكون تاريخ مسقط رأس العالم الإنساني . ولهذا تحسب مملكة الرومان والصين واليابان والهند من ممالك أمس بجانب هذا[٥] .

وكم من أمة وقبيلة وشعب ودولة زالت وانقرضت وأمست في خبر كان . وأما تلك المدافن فشاخصة قائمة بعزها ومجدها كما كانت منذ أول بنائها . وأن أنياب الدهر ومخالب طوارئ الزمان لم تقو على ملاشاتها وإفنائها من على سطح الكرة الأرضية وهي واقفة على أركانها وتلالها الضخمة تسخر بمرور الأيام وكر الأعوام فسبحان من بيده البقاء والخلود والفناء والوجود في كل مكان وزمان .

تاريخ ارتقاء البحرين

في سنة ١٣٣٤هـ جلبت أول (مطبعة)[٦] حجرية إلى البحرين . وفي سنة ١٣٣٧هـ أول من جلب الجوال (موتكار) هو سمو الشيخ عبد الله ابن المعظم الشيخ عيسى آل خليفة بعد عودته من أوربا . وكان في أثناء بقائه في لندن قد ركب الطيارة وارتفع بها إلى أن اكتشف بها مطلوبه ثم عاد فنزل . فصعدها ابنه سمو الشيخ محمد وكذلك رقي بها إلى حيث شاء وحلق بها في الجو ثم عاد ونزل . فهما أول من ركب الطيارات من أهل جزيرة العرب وذلك عام ١٣٣٧هـ وفي سنة ١٣٣٧هـ وضعت آل الرمزى (تلغراف اللاسلكى)[٧] في جزيرة المنامة في الموضع المسمى (الحوره) ثم بعد ذلك وضعت في جنوب غرب (القضيبية) أنصاب كهيأة حلقة . ويقال أنها ستكون في وسطها محطة للطيارات .

وفي سنة ١٣٣٨هـ تأسس في البحرين المجلس البلدي[٨] تحت رئاسة سمو الشيخ عبد الله ابن الشيخ عيسى آل خليفة . وفي أواخر سنة ١٣٣٩هـ آلت إلى أخيه سمو الشيخ حمد .

وفي سنة ١٣٣٩هـ أول من جلب القازوز (النمليت) إلى البحرين يوسف بن لطف علي الخونجى بشراكته مع سمو ولى العهد الشيخ حمد وكذلك هما أول من أتيا بمعمل الثلج .

وفي ١٣٣٩هـ أول من جلب الآلة المولدة للقوة الكهربائية[٩] إلى البحرين للضياء والهواء فقط هو يوسف كانو .

وفي سنة ١٣٣٩هـ نهض حكام البحرين وأشرافها ببث العلوم والمعارف[١٠] فبدءوا أولا بتأسيس المدارس العلمية وجمعوا لها من الإعانات نحو ثلاثمائة ألف روبية وشرعوا في بناء مدرسة كلية في غرة ربيع الأول من العام المذكور . واختاروا لها موضعا خارج البلدة شمال المحرق على الساحل وأطلقوا عليها اسم (مدارس الهداية) : وقد حضر عند وضع أساسها حكام البلدة وأعيانها . وكان أول حجر وضع في أساسها هو بيد صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة . وانتخب رئيسها الأول الشيخ عبد الله نجل الحاكم . وقد وصلتها في محرم سنة ١٣٤٠هـ فرأيتها عجيبة البناء والموقع تشبه الثكنة العسكرية أو الاستحكام الحربي .

وفي ٢٠ محرم عام ١٣٤٠هـ تأسست في المنامة دائرة الشرطة . وفي نية البلدية إقامة جسر ممتد من المنامة من طرق الحورة إلى المحرق قرب حالة أبي ماهر .

الحالة السياسية

(المساحة)

طول مساحة جزيرة المنامة شمالا وجنوبا ٢٥ ميلا وعرضها تسعة أميال . وطول جزيرة المحرق خمسة أميال وعرضها ميلين اثنين وتدوير مساحة الجزيرتين نحو ٨٠ ميلاً .

(السكان)

يبلغ عدد سكان جزيرة البحرين عموما نحو ٣٠٠ ألف شخص[١١] .

(أجناسهم)

غالب أهلها من العرب الأصليين وهم يتمذهبون بمذهب الإمام مالك ابن أنس إمام دار الهجرة النبوية ﷺ . ومن كان منهم شافعياً فاصله من فارس . ومن كان منهم حنفياً فأصله من الهند أو من بغداد . ومن كان منهم حنبليا فأصله من نجد .

(أهلها)

ولم يزل سكان البحرين بازدياد مستمر لموقعها التجارى وأرباحها الوافرة . فقد سكنها أهل فارس والهنود المسلمون منهم والوثنيون . وأهل العراق المسلمون والنصارى واليهود . وأهل نجد والاحساء وعمان وأهل اليمن وحضرموت وغيرهم .

وقد قدر زيادة سكانها بين سنتى ١٣ و١٣٣٢هـ بعشرين في المائة . وبين سنتي ٢٦ و١٣٣٢هـ بخمسين في المائة . سوى أن العلوم والمعارف بطيئة التقدم[١٢] .

وكنت قد زرتها المرة الخامسة في يوم الخميس ٢٠ محرم عام ١٣٤٠هـ ونزلت ضيفا على فراش حاكمها صاحب الجلالة سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في المقيظ فأكرمنا غاية الإكرام . وأمر بإقامة لوازمنا على أكمل ما يرام . وأنعم علينا هو وأصحاب السمو أنجاله الفخام بأوفر الإنعامات .

ولما ارتحلنا إلى البلدة استأذن سمو الشيخ محمد من والده صاحب العظمة بأن أكون في ضيافته فأذن لي سمو الحاكم بالنزول على فراش نجله المذكور سمو الشيخ محمد . فغمرنا بإنعاماته فوق ما يؤمل . وأفرز لنا مجلسا منظما مخصوصا لنا تزورنا فيه العلماء والأصدقاء في كل يوم . وفي يوم مبارحتنا للبحرين أمر لي الحاكم بمفرشة (زولية) فاخرة . وكساني حلة ولي العهد سمو الشيخ حمد (عباءة قيلانية وعقالا قصبا وشالا صوفا) وكذلك كساني أخوه سمو الشيخ محمد (من أنا على فراشه) عباءة عمانية وبراً وعقالاً قصباً وشالاً صوفاً . حسب عادة الحكام وذلك غير النقود التي بذلوها لي عن طيب نفس .

(العلم)

راية آل خليفة جميعها حمراء سوى أنهم يجعلون شريطا أبيض مما يلي الحبل عند العمود فقط[١٣] .

تقسيمات البحرين ونواحيها

كانت البحرين في السابق تحتوى على ٣٦ بلدة وعلى ٣٣١ قرية . ولكن لكثرة تداول الحكام عليها ووقوع الحروب بها وزوال الحضارة منها أزال عمرانها وخرب أكثر تلك المدن والقرى ولم يبق منها سوى ثمان مدن وبعض القرى التابعة لها . والمدن هي : المحرق والمنامة والرفاع وسترة وجد حفص والبلاد القديم والبديع والحد .

فأما المحرق :

فهي جزيرة شمال شرقي المنامة على مسافة نصف ساعة في السفن الشراعية . وهي سكن الحكام الحاليين وأعيان العرب . وهي العاصمة . وكانت تسمى (رفين) وهي مدينة قديمة قيل أن سبب تسميتها بالمحرق هو أن المجوس كانوا يحرقون أمواتهم في ناحية منها لما كانوا مالكيها قبل الإسلام . وعدد نفوسها ٣٠ ألفا .

وفي قصبة المحرق اليوم ٤٢ مسجداً . وجامعان أحدهما قرب قصر الحاكم الحالي . أسسه الشيخ محمد بن جمعان . ثم هجر زمنا طويلاً . ولما تولى القضاء الشيخ شرف اليماني طلب من الحكام تجديد بنائه وإعادته جامعا كما كان فصدر الأمر من سمو الحاكم الشيخ عيسى آل خليفة بذلك وصليت فيه الجمعة من سنة ١٣١٠هـ ولم تزل إلى اليوم .

والجامع الثاني أسسه الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة المتولي على البحرين سنة ١٢٣٦هـ، وهذا الجامع واقع غربي قصر ولي العهد سمو الشيخ حمد ابن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة .

وفي المحرق (مدرسة الهداية) المتقدم ذكرها وعدة مكاتب أهلية . وفي غربي المحرق دائرة للمكس البحري تابعة لمكس المنامة .

ويتبع المحرق خمس قريات :

القرية الأولى : **حالة أبو ماهر** — (والحالة في اصطلاحهم كل قرية يحيط بها البحر كالجزيرة) وهي جنوب المحرق وكانت منفصلة عنها بترعة ثم في سنة (١٣٣٠هـ) دفنوا الترعة وأوصلوا الأسواق والبيوت بينهما . وفي جنوب الحالة (القلعة) التي بناها الشيخ عبد الله بن أحمد كما سيأتي عند ذكر حكمه . وفي الجهة الشرقية الجنوبية من القلعة ينبوع في البحر يسمى (كوكب

أبي ماهر) يعلوه البحر وقت المد بنحو ستة أذرع وشرب أهل الحالة وأهل المحرق منه بل غالب السفن تورده :

القرية الثانية – البسيتين : وهي شمال المحرق على مسافة نصف ساعة للراجل. وبها (مسجد) بنيت فيه أخيرا منارة سنة ١٣٣٧هـ . وشرب أهلها من ينبوع في البحر يسمى (الساية) وهي جهة الشمال الغربي عنها . وبين البسيتين والمحرق صحراء نقية يخرجون إليها كل سنة لصلاة العيدين بها تبعا للسنة . ويوجد شمال هذا المصلّى آثار قبور دائرة متجهة وجوه أصحابها نحو الشمال .

القرية الثالثة – الدير : وهي شرقي البسيتين على مسافة نصف ساعة منه للراجل وشرب أهله من ينبوع في البحر ، وعين في البر تسمى (رية) .

القرية الرابعة – سماهيج : وهي شرقي الدير على مسافة ربع ساعة منه . وشرب أهلها من ينابيع في البحر على الساحل . وكانت سماهيج إحدى المدن العظام(١٤) . وغربيها بستان يسمى (ريـة) باسم العين التي فيه وهو على الساحل . وقد أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة سنة ١٣٣٠هـ ببناء قصر فيه مشرف على البحر جعله منتزها له يسير إليه في كل يومين مرة واحدة حينما يكون مقيما في العاصمة وهو يعد من منتزهات البحرين . وقد ذهبت إليه صحبة سمو الحاكم مع أنجاله في ٣٠ محرم عام ١٣٤٠هـ .

القرية الخامسة – قلالي : وهى شرقي سماهيج على مسافة ثلث ساعة . وشربهم من ينبوع في البحر يسمى (جرذى) .

المدينة الثانية (الحِدّ)

هي قصبة واقعة جنوب قرية قلالى على مسافة نصف ساعة للراجل . ويصير الحد شرقي المحرق مائلا إلى الجنوب وعدد نفوسه نحو ١٢ ألفاً وهو

سكنى قبيلة السادة العلويين، وبعض من (آل بن علي) ومن عشيرة (أبى فلاسه) . وشرب أهله من عين في البر تسمى (الزمة) ومن ينبوع في البحر يسمى (أم السوالي) وهو جهة الشرق الجنوبى عن البلدة يغمره البحر وقت المد وينحسر عنه تماما وقت الجزر . وفي الحد ١٣ مسجداً وجامع كبير للجمعة . ويتبع الحد خمس قريات أيضا :

الأولى – حالة السلطة : وهي غربي الحد وبينهما جون من البحر والمسافة بينهما ثلث ساعة للخائض منه إليها وشربهم من عيون (عراد) الآتي ذكرها :

الثانية – حالة النعيم : وهي حذاء حالة السلطة من جهة الغرب بينهما مسافة ثلاث دقائق . وشربهم من عيون عراد أيضا .

(الثالثة) – عراد : وهي غربي الحد إلى المحرق أقرب وبينهما جون من البحر، يمكن للدواب خوضه في وقت الجزر للاستقاء من عيون عراد . وبها نخيل وآبار وعيون كثيرة . وبها القلعة التي بناها سعيد بن أحمد لما كان واليا من قبل أخيه حاكم (مسقط) السيد سلطان بن أحمد كما سيأتي عند ذكر إمارته.

الرابعة والخامسة – أم الشجر الكبرى وأم الشجر الصغرى : وربما عبروا عن الصغرى (بالعزل) وهما على مسافة ربع ساعة من الحد جهة الجنوب . وشرب أهلها من ينبوع (أم السوالي) المتقدم ذكره فتكون هاتان المدينتان مع قراهما جزيرة منفردة شرقي المنامة كما تقدم وربما عبروا عن مجموعهما (بالمحرق) .

المدينة الثالثة (المنامة)(١٥) :

وهي واقعة على الطرف الشمالي الشرقي من الجزيرة . وكانت تسمى (المنعمة) وقد اختلف في سبب إطلاق اسم المنامة عليها . فمن قائل أنه تحريف المنعمة . حرفتها الأعاجم الذين سيطروا عليها . ومن قائل أنه كان فيها قصر لمنام أحد ملوكها السابقين فسميت به . وهي اليوم الميناء العمومية ومرسى البواخر وسكنى أكثر التجار ومركز معتمدي الدول . وبها دائرة البريد والبرقي والمكس البحري، وعدد سكانها نحو ٤٠ ألف شخص . وهي جيدة البناء ذات أسواق رائجة، سوى أن أرضها سبخة . وهي رديئة الهواء . وشماليها ميناء صعبة المرسى . وشرقيها ميناء هي أسلم للسفن من عواصف الريح . والقرية المشرفة على الميناء الشرقية تسمى (الحورة) . وكان في سنة ١٣٣٠هـ صدر الأمر من عظمة الحاكم سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ببناء مرفأ في الميناء الشمالية ممتدا إلى وسط البحر لتطابقه السفن المشحونة بسهولة ولو كان البحر جازرا . وكذلك صدر أمره ببناء مستودع للبضائع عند المرفأ المذكور محتويا على (حوش) كبير ومخزن عظيم لحفظ الأموال الواردة . فبنى وهو في غاية الإتقان والضبط ولا يزال دفن البحر مستمرا لتمديد المرفأ المذكور : وعدد المساجد في المنامة ٢٢ مسجدا وجامعان أحدهما جهة القبلة (غربى البلدة) وهو المسمى اليوم (مسجد الشيوخ) والآخر جهة الشرق . وقد جدد بناءه وزاد فيه من جهة الشمال زيادة مهمة (صاحب الخيرات الحاج عبد العزيز بن لطف على الخونجى) سنة ١٣٤٠هـ . وله إمامان، الشيخ علي والشيخ عبداللطيف ابنا محمد آل سعد . وفق الله المسلمين لتعمير مساجدهم ومدارسهم بالعلوم العالية والفنون الراقية كما عمروها بالعبادة وزيادة : آمين[١٦] .

والمنامة فيها سكنى غالب الملل والأصناف . وفي ظهرها من جهة الجنوب قلعة تسمى (قلعة الديوان) قيل أن الذي بناها هو نادر شاه (كما سيأتي عند

إمارة آل مذكور) وهي مقيظ صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة . وغربي هذه القلعة قصر عظيم بناه ولى عهده سمو الشيخ حمد ابن الشيخ عيسى سنة ١٣٢٢هـ للمقيظ . وشمالي هذا القصر وغربي القلعة، (مجلس) بناه سمو الشيخ خليفة بن سلمان حفيد الحاكم سنة ١٣٣٣هـ وأرخه يوسف بن فلاح بقوله (خليفة نال العلى) .

وفي شرقي جنوب القلعة المذكورة على مسافة نصف ساعة للراجل موضع على الساحل يسمى (القضيبية) بالتصغير . وبها المحجر الصحي الذي أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى ببنائه سنة ١٣٢٧هـ . وجنوب القضيبية قرية تسمى (الجفير) بالتصغير، وجرت عندها عدة وقعات كما سيأتي . وبها مسجد صغير ويسكنها اليوم صديقنا الشيخ سعد بن الشيخ عبد الله بن شملان وقد أدب لنا مأدبة رائقة فيها سنة ١٣٤٠هـ .

وفي غربي المنامة قرية تسمى (السويفية) . وعلى ساحلها الشمالي قصر أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى ببنائه وسكنه اليوم زمن القيظ نجله سمو الشيخ محمد ابن الشيخ عيسى آل خليفة .

المدينة الرابعة (الرفاع)

وهو على مسافة ساعة ونصف للراكب من المنامة جهة الجنوب الشرقي . وهو سكنى الأمراء السابقين من آل خليفة وبه القلعة التي بناها الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة على أساس من قلعة (فرير بن رحال) وزير الشيخ الجبري الآتي ذكرهما عند إمارة الشيخ الجبري .

وشرب أهله من أربعة آبار : ثلاثة منها جهة الجنوب في الروضة وهي من حفر الأقدمين، والرابعة جهة الشمال وتسمى (الحنينية) المشهورة بالعذوبة

والآمر بحفرها الشيخ سلمان بن أحمد المذكور . وعمقها نحو ثمانية أبواع . وأوقف عليها نخلا لتعميرها ولإظهار الماء منها إلى بركة بحذائها، لتستقي منها النساء والفقراء .

وبين الرفاع والمنامة أرض واسعة الفضاء تسمى (**المراقيب**) وفيها المقبرة القديمة التي تقدم البحث عليها عند الآثار .

وغربي هذا الرفاع، على مسافة نصف ساعة منه موضع يسمى (الرفاع القبلى) أسسه الشيخ علي بن خليفة حاكم البحرين سابقا وبه البئر المسماة (أم غويفه) بالتصغير أمر بحفره والد المذكور الشيخ خليفة بن سلمان وعمقه نحو ٢٤ باعا، وأوقف عليه نخلا لتعميره .

وغربي الرفاع القبلي على مسافة ربع ساعة، موضع يسمى (رفاع الشيخ محمد) أسسه الشيخ أحمد الفاتح بن محمد بن خليفة ثم نزله حفيده الشيخ خليفة بن سلمان، وبنى به مسجدا كانت تقام فيه الجمعة وهو باق إلى اليوم، ثم نزله الشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين سابقاً، ثم نزله سمو الشيخ محمد ابن صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن علي وجدد بعض أبنيته وأسكن فيه (بعض) عائلته يرأسهم نجله سمو الشيخ راشد ابن الشيخ محمد . وفي سنة ١٣٤٠هـ أمر الشيخ راشد المذكور ببناء قصر له حذاء قصر والده، وأرخ بلفظ (جمع الجد والشرف الأثيل) .

وهذه المواضع المتقدمة والتي ستجيء هي عبارة عن قرى صغار تسكن زمن الخريف .

وجنوب رفاع الشيخ محمد على مسافة ساعة للراكب موضع يسمى (**الصخير**) أسسه الشيخ محمد بن خليفة . ثم في سنة ١٣١٨هـ نزله سمو الشيخ حمد ابن ذى العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن علي وبنى به قصورا

جميلة ومجالس رحبة لإقراء الضيوف وجدد القصر الذى بناه أخوه المرحوم الشيخ راشد ابن الشيخ عيسى . ورمم المسجد الذي هناك وعين له إماما راتبا . وهذا الصخير واقع فوق ربوة نقية بين جبال وآكام متسعة جداً . وعلى جانب الربوة من جهة الغرب إلى الجنوب رياض واسعة تجتمع فيها الأمطار والسيول فتنبت بها الأعشاب البرية . وتلك الرياض هي حمىً لسمو الشيخ حمد ترعاها إبله وخيله وأنعامه . وفيه ثلاث عيون للشرب، إحداها تسمى (أم حصاة) وماؤها أعذب مياه البحرين وألطفها لبعده عن السواحل ثم يليه في الحلاوة عين (أم المومیان) والثالثة تسمى (الجنوبية) .

وبين تلك الرياض ميدان للسباق على الخيل والتمرين على الكر والفر . وحقيقة، فإن الصخير وما والاه يعد قطعة من (الطائف) لحسنه وللطافة هوائه وعذوبة مائة ونقاء أرضه وخضرة رياضه وظرافة منظره . ووصلته سنة ١٣٣٢هـ بطلب من صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن علي واستقمنا به ثلاثة أيام صحبة الحاكم على فراش نجله ولي العهد سمو الشيخ حمد . ولم تخل أرض الصخير من المعادن لاسيما النفط والقير والجص عند قرب (جبل الدخان) الذي تقدم ذكره في الحالة الطبيعية[١٧] .

وعلى مسافة ساعة من الصخير جهة الجنوب موضع يسمى (العمرو) بنى فيه ولي العهد سمو الشيخ حمد مجالس سنة ١٣٣٧هـ وكذلك بنى فيه أخوه سمو الشيخ عبد الله والشيخ سلمان ابن الشيخ حمد . وعلى مسافة ساعة من العمرو جهة الجنوب أيضا موضع يسمى (المطلة) فقد بنى فيه سمو الشيخ حمد مجالس . وكذلك سمو الشيخ عبد الله أبناء صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة . وكذا بنى فيه سمو الشيخ سلمان بن حمد حفيد الحاكم سمو الشيخ عيسى الجميع بنوا مجالسهم في سنة ١٣٣٧هـ .

المدينة الخامسة (ستره)

وهي شبه جزيرة شرقي الرفاع على مسافة ٤٥ دقيقة وإذا جزر البحر اتصلت به بشبه برزخ يعلوه ماء رقيق سمك ذراع فأقل . وبها عيون كثيرة أكبرها (عين الرحى) ثم عين (مهزة) ويتبعها من القرى (١) القرَيّة (٢) مهزة (٣) سفالة (٤) مرقبان (٥) واديان (٦) الخارجية (٧) المعامير (٨) العِكر (٩) الفارسية (١٠) الحالات . وهذه المدينة مع قراها مملوءة بالنخيل الباسقة والأشجار المثمرة، وهي التي جرت بها الوقعات الشهيرة كما سيأتي .

المدينة السادسة (جد حفص)

وهي غربي المنامة على مسافة نصف ساعة وبها عيون ونخيل كثير، وكانت هي إحدى المدن الكبار[١٨] . وشمال جد حفص قصر على الساحل في موضع يسمى (بوزيله) أمر ببنائه سمو الشيخ عبد الله ابن الشيخ عيسى آل خليفة .

المدينة السابعة (البلاد القديم)

بالتذكير وهي جنوب جد حفص وبها عيون كثيرة أشهرها (أبو زيدان وجماله وقصارى) وغربي البلاد القديم قرية تسمى (السهلة) فيها عين عجيبة شهيرة بالكبر تسمى (عذاري) عمقها خمسة أبواع وهي تسقى أكثر من ثلاثة أميال من النخيل ثم تصب في البحر منحدرة كأنها السيل الهائج . وقد وصلتها وغصت فيها إلى قعرها وأبصرت منبعها في الماء، وهي أصفى عيون البحرين .

المدينة الثامنة (البديِّع) (بالتصغير)

وهي غربي المنامة على مسافة ساعتين، وبها سكنى قبيلة الدواسر ومن تبعهم .فهذه هي المدن وما سواها فقرىً صغار . وأكبرها قرية (جو)

وهي على مسافة نصف ساعة للراكب من الرفاع جهة الشرق الجنوبي، وهي مطلة على البحر.

وأول من نزلها من العرب الشيخ أحمد بن رزق الشهير في القرن الثاني عشر الهجري، وعمّرها وبنى بها مساجد وبركا عظاماً لخزن الماء في غاية القوة والإحكام . وقال صاحب (سبائك العسجد) : سكن الشيخ أحمد بن رزق بلدة جو . وبنى بها قصورا شامخة إلى الجو ثم ظعن عنها ونزل الزبارة . وبعد ظعنه بقيت بلدة جو خالية من العرب إلى أن استولى الخليفيون على البحرين سنة ١١٩٧هـ - كما سيأتي - ثم لما احتل سعود بن عبد العزيز أمير نجد (الاحساء والقطيف) سنة ١٢١٢هـ جعل يتحفز على أخذ الزبارة فظعن الشيخ أحمد بن رزق منها إلى البصرة في تلك السنة . ونقل الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة الفاتح عائلته جميعها من الزبارة وأسكنهم بلدة جو . ثم لما فرطت البحرين من آل خليفة واسترجعوها سنة ١٢٢٥هـ، ترك الشيخ سلمان (جو) وسكن (الرفاع) وبنى به قلعة وجعله العاصمة كما سيأتي عند ذكر حكمه ثم بعد ذلك نزل (آل أبى رميح) بلدة جو . وهم باقون فيها إلى حال التاريخ[١٩] .

الهوامش

١ - إن مملكة البحرين اشتهرت منذ القدم بعدة أمور أهمها : الموقع الاستراتيجي الهام حيث شكلت وتشكل همزة وصل بين الشرق والغرب، والأرض الزراعية الخصبة، فسميت بلد المليون نخلة، واللؤلؤ الطبيعي الفاخر والذائع الصيت، ووجود الاستراحات والفنادق والآثار والمباني التاريخية. ومن بين جزر البحرين ثلاث منها ذات أهمية اقتصادية : فالمنامة العاصمة وفيها الميناء البحري (ميناء سلمان) وحقول الزيت ومصنع التكرير ومصنع الألومنيوم والمنطقة الصناعية. وفي المحرق يقع مطار البحرين الدولي والشركة العربية لإنشاء وتصليح السفن (اسري) . أما جزيرة ستره فيوجد بها ميناء تصدير الزيت وميناء تصدير منتجات الألمنيوم والمنطقة الصناعية الجديدة وموقع مصنع البتروكيماويات . أنظر المجموعة الإحصائية ١٩٨١م، ص٣ .

أما السلع المصدرة من البحرين اليوم فأهمها :

سبائك الألمنيوم غير المصنعة، ألواح وصفائح الألمنيوم، منتجات الحديد، قضبان وأسلاك الألمنيوم، الأمونيا (نشادر)، زيت الذرة مكرر، ملابس وأقمشة، ورق صحي، أصباغ مباني، تجهيزات كهربائية، دهون، مكيفات هواء مجزأة، روبيان، النفط وهناك سلع أخرى معاد تصديرها . أنظر : إحصاءات التجارة الخارجية لعام ١٩٩٥م، ص٢٠-٢٤ .

٢ - **أم الحصم** : موضع على ساحل البحر جنوب المنامة على مسافة ساعة منها . وهذا الموقع نقي الأرض لطيف الهواء زمن الصيف وبه كثير من النخل والفواكه . وبه مقيظ للشيخ عبد الله بن سعد بن شملان . وبه عين نبّاعة تسقى بساتين تلك الجهة تسمى (هرته) وكانت متهدمة الأطراف فعمرت بهمة الشيخ عبد الله بن شملان المذكور والشيخ محمد بن أحمد بن هجرس سنة (١٣٣٠) وأمر أيضا ببناء حجرة قربها جهة الجنوب الشرقي لتكون حماما للنسا، يغتسلن فيها . فجزاهما الله خير الجزاء . ورحمهما رحمة الأبرار . اهـ مؤلف .

٣ - ولم يبق منها سوى الطلل لجدرانها الخارجية .

٤ - يعود تاريخ بناء مسجد الخميس تقريبا إلى القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر الميلادي . وينسب المسجد لشخص يسمى (أبوسنان محمد الفضل بن عبد الله العيوني) وأبوسنان هذا ثالث حاكم من الأسرة العيونية عاش في القرن الحادي عشر الميلادي . أما بناء المنارتين فيقدر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد . وقد رمم المسجد في عام ١٩٧٦م . ويقال بأن المسجد كان يشمل مدرسة ملحقة به .

أنظر : حضارة البحرين عبر العصور القديمة، يوسف بومطيع وآخرون، طبع البحرين ٢٠٠٢م، ص٢٢ .

وقيل إن مسجد سوق الخميس بني في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز . وجدد بناؤه عدة مرات ومنها أيام العيونيين . وتجديد آخر في عام ١٩٥٠م . ثم أدخلت على المنارتين بعض الترميمات للحفاظ على معالمهما الحضارية وخشية سقوطهما وذلك عام ١٩٧٦م . ويقوم المسجد مع المدرسة الملحقة به على ارض واسعة ويتألف من ثلاثة أروقة تحيط بفناء المسجد . وهذه الأروقة مقامة على أعمدة مكونة من قطع حجرية يبلغ ارتفاع الواحدة منها قدما واحدا وقطره قدمين . ونحتت بشكل دائري بديع ووضعت بعضها على بعض بطريقة هندسية عجيبة . ويحيط بالمسجد سور مبني من الأحجار الكبيرة يتراوح ارتفاع السور ما بين ٥-٦ أقدام . وفي الجهة الغربية من المسجد ممر واضح مما يدل على ان المسجد الحالي مبني على أثر مسجد أقدم منه وأكبر مساحة .

وقيل أن القرى المعمورة الآن أزيد من مائتي قرية ومنها :

المنامة والمحرق وسماهيج والجفير والحورة وراس رمان والنعيم ومني وكتكان وكرزكان وسنابس والديه وكرباباد والقلعة وكرانه وجد الحاج وجنوسان وأيار وجبل الدخان وأم النعسان وشريبه والبديع ودار وبني جمره وسار وضلع وعالي وبوري وجزيرة وحجر واكل وهجر والقدم وأبوقوه والسهله وجد حفص والهمله والرويس وباربار وأوال وستره والرفاع وبلاد قديم وكوره وتوبلي وغريفه ودار كليب والزنج والسقيه وجبيلات وحلة الصغيرة وجو ومشهد (الخميس) وأبو صبيع ومصلى وجبلة الحبش وماحوز وقريه ومرخ ودمستان ومقابا وبستان (بسيتين) وقرية الخارجية والدونج وعراد والعقير وجور وصدد وسند ولقبيط وجنبه وجد علي وهلتا وعالي وحلة الكبيرة وحلة علي وشويكه وصداغه وبني وفريق المزارعة وشهركان وعين الدار وسلم أباد وجروزان وحرتان والدير . أنظر : آل عصفور، الشيخ محمد علي عيون المحاسن، ص٧ .

والحد والرفاع الشرقي والغربي وعسكر والزلاق الدور بسيتين والعمر .

كما تشمل البحرين من الجزر والفشوت والملامح الطبوغرافيه الأخرى :

١. جزيرة البحرين : ومساحتها ٥٨٦،٥١ كم٢ .

٢. المحرق : ومساحتها ٢٠،٨١كم٢ .

٣. سترة : مساحتها ١٤،٢٣كم٢ .

٤. النبيه صالح : جزيرة مستديرة مساحتها نحو ٠،٧٤كم٢ .

٥. القليعه : قصار مساحته ٠،٠٩كم٢ .

٦. النعيم : وهي حالة أو جزيرة ومساحتها ٣٠٠٠ ياردة مربعة تقريبا .

٧. السلطه : حالة .

٨. أم الشجر : وهي جزيرة صغيرة مساحتها نحو ٣٠٠٠ ياردة مربعة وتبعد عن الحد نحو ميل في حالة المد .

٩. العزل : وهي جزيرة تقع جنوب أم الشجر ومساحتها ٨٠٠ ياردة مربعة تقريبا .

١٠. قصار بوشاهين : ويقع شرق العزل ويبعد عنها ثلاثة أميال (والقصار جزيرة جبلية صغيرة جدا) .

١١. قصار اخصيفه : وهي جزيرة صغيرة تقع شمال شرق المحرق قرب الدير .

١٢. الجارم .

١٣. الديبل .

١٤. قطعة جرادة : وهي جزيرة صغيرة شرق سترة وعلى بعد ساعة ونصف من البحرين بالقارب البخاري .

١٥. أمجيليد : وتقع شرق البحرين وطولها ٢٠٠ قدم وعرضها ١٢٠ قدما تقريبا .

١٦. أغميس .

١٧. تغيليب : وهو قصار صغير يقع قرب جو .

١٨. مشتان : وهو قصار او جزيرة صغيرة متصلة مساحتها ٠،١كم٢ .

١٩. نون : وهو قصار يقع جنوبي البحرين بشكل جزيرة رملية تشبه حرف النون .

٢٠. مجموعة جزر حوار :

تقع مجموعة جزر حوار بين خطي عرض ٣٣ ٢٥ً – ٤٥،٥ ٢٥ْ شمالاً . وبين خطي طول : ٤٤ ٥٠ً – ٥٠ ٥٠ً شرقا . وتبلغ مساحتها (٥١،٦٦ كم^2) أو (١٩،٩٥ ميل^2) وتشمل :

[١] جزيرة المعترض : ومساحتها نحو ٠،١كم^2 .

[٢] حوار : ومساحتها ٣٨،١١كم^2 .

[٣] ربض الشرقية : ومساحتها ١،٢٤ كم^2 .

[٤] ربض الغربية : ومساحتها ٠،٧ كم^2 .

[٥] سواد الشمالية : ومساحتها ٢،٨ كم^2 .

[٦] سواد الجنوبية : ومساحتها ٦،٥٣ كم^2 .

[٧] عجيره : ومساحتها ٠،٠٥ كم^2 .

[٨] الحجية الشمالية .

[٩] الحجية الجنوبية .

[١٠] المحزوره : ومساحتها ٠،٥١ كم^2 .

[١١و١٢] الوكور : وهما جزيرتان صغيرتان ومساحتهما ٠،١ كم^2 .

[١١] بوسداد : ومساحتها ٠،٠٢ كم^2 وهي أربع جزر .

[١٢] [١٦] جنان : ومساحتها ٠،٠٩ كم^2 .

٢١ – أم النعسان : من مجموعة جزر البحرين الغربية ويطلق عليها اليوم الجزيرة مساحتها ١٨،٩٣ كم^2 .

٢٢ – يعصوف : جزيرة صغيرة بها قبر يقال له يعصوف .

٢٣ – الحول .

٢٤ – البينة : وتبعد عن جزيرة جدد نحو نصف ساعة بالقارب البخاري .

٢٥ – أم الصبان : جزيرة مساحتها نحو ٤٠،٠٠٠ قدم^2 وتبعد عن البديع حوالي نصف ساعة بالقارب البخاري .

٢٦ – جده أو جداء : مساحتها نحو ٠,٣٣ كم٢ وتقع في الجهة الشمالية الغربية من البحرين أو الجهة الشمالية من جزيرة أم النعسان وتسمى الجزيرة الخضراء .

٢٧ – جادوم : قصار فيه عين ماء ارتوازية يتزود منها أصحاب السفن المارة بالماء العذب .

٢٨ – الساية : قصار صغير جداً يقع غرب المحرق وفيه نبع ماء عذب .

٢٩ – جرزى : قصار يقع شرق المحرق قرب قلالي يرتاده صيادو السمك والطيور البحرية .

٣٠ – ترينبيه : جزيرة قاحلة لا ماء فيها تقع شرق أوال وقرب عسكر .

٣١ – إبراهيم : قصار أو جزيرة صغيرة في شرق عسكر فيها ضريح الشيخ إبراهيم وليس فيها ماء .

٣٢ – جباري : قصار يقع غرب قصار تغيلب .

٣٣ – الديبل : قصار شمال شرق البحرين فيه عين ارتوازية .

٣٤ – قطعة جرادة .

وجزر وفشوت صغيرة أخرى .

إن مملكة البحرين (دولة أرخبيلية) وطبقاً للقانون الدولي والأعراف الدولية تستطيع البحرين والحالة هذه أن ترسم خطوطاً أساسية حول المياه الأرخبيلية لها بما فيها مجموعة جزر حوار وكافة الجزر والفشوت والملامح الطبوغرافية الأخرى والتي تقع بين خطي عرض ٠٧-١٠ أقصى الشمال و ٠٧,٣٢,٢٥ أدنى الشمال خطي طول ١١-٠٧-٥١ أقصى الشرق و ١٣,١٦,٥٠ أدنى الشرق .

ومن الجزر والفشوت والملامح الطبوغرافية في البحرين :

١ – جزر الجارم (فشت الجارم) .

٢ – قصار أخفيصة .

٣ – قصار جرذي .

٤ – جزيرة الساية .

٥ – جزيرة المحرق .

٦ – حالة النعيم .

٧ – قصار شاهين .

٨ - جزيرة أم الشجر .

٩ - جزيرة العزل .

١٠ - جزيرة الجليعة (قرب الحوض الجاف) .

١١ - الجزيرة .

١٢ - جزيرة النبيه صالح .

١٣ - قطعة جرادة .

١٤ - جزيرة المحمدية (أم الصبان) .

١٥ - جزر الحجره (قرب ستره) .

١٦ - جزيرة جده .

١٧ - قصار جادوم .

١٨ - جزيرة البينة الصغيرة .

١٩ - جزيرة أم النعسان .

٢٠ - جزيرة يعصوف .

٢١ - جزيرة اللغوي (قرب الجسر) .

٢٢ - جزيرة البحرين .

٢٣ - جزيرة الشيخ .

٢٤ - جزيرة امجيليد .

٢٥ - جزيرة ترينبيه .

٢٦ - جزيرة إبراهيم .

٢٧ - قصار اغبيس .

٢٨ - قصار اتغيلب .

٢٩ - قصار جباري .

٣٠ - جزيرة مشتان .

٣١ - قصار وحالة نون .

٣٢ - قصار الحول .

٣٣ - جزيرة المعترض .

٣٤ - جزيرة ربض الشرقية .

٣٥ - جزيرة ربض الغربية .

٣٦ - جزيرة عجيره .

٣٧ - جزيرة حوار .

٣٨ - جزر الحجيات .

٣٩ - جزيرة سواد الشمالية .

٤٠ - جزيرة المحزورة .

٤١ - جزر الوكور .

٤٢ - جزيرة سواد الجنوبية .

٤٣ - جزر بوسداد .

٤٤ - جزيرة جنان .

٤٥ - ومن الفشوت : فشت الجارم .

خور فشت

فشت العزم

فشت الديبل

فشت بوثور

أما مجاري هيارات البحرين فهي :

١ - من مجرى فشت الجارم إلى مجرى (أبو حاقول) .

٢ - ومن أبو حاقول إلى مجرى (شتيه) .

٣ - ومن شتيه إلى مجرى (أبا الجعل) .

٤ - ومن أبا الجعل إلى مجرى (أبو صور) .

٥ - ومن أبو صور إلى مجرى (نجوة العماري) .

٦ – ومن نجوة العماري إلى مجرى (عبد القادر) .

٧ – ومن عبد القادر إلى مجرى (نجوة الرميحي) .

٨ – ومن نجوة الرميحي إلى مجرى (أبو الخرب) .

٩ – ومن أبو الخرب إلى مجرى (أبو لثامه) .

١٠ – ومن أبو لثامه إلى مجرى (أبو عمامة) .

١١ – ومن أبو عمامة إلى مجرى (فشت الديبل) .

١٢– ومن فشت الديبل إلى مجرى (العرشان) .

١٣ – ومن العرشان إلى مجرى (أم القرص) .

١٤ – ومن أم القرص إلى مجرى (خريص الطير) .

١٥ – ومن خريص الطير إلى مجرى (الجادر) .

١٦ – من نجوة عبد القادر (عبد الجادر) إلى مجرى (الشبك) .

١٧ – ومن الشبك إلى مجرى (الميانه) .

١٨ – ومن الميانه إلى مجرى (نجوة الرقاى) .

١٩ – ومن نجوة الرقاى إلى مجرى (أبو الجرب) .

٢٠ – ومن أبو الجرب إلى مجرى (أرجله) .

٢١ – ومن أرجله إلى مجرى (نجوة ولد رمضان) .

٢٢ – نجوة ولد رمضان . أنظر : راشد بن فاضل البنعلي، مجاري الهداية ص١٦-١٨ طبع البحرين ١٣٤١هـ/١٩٢٢م .

(داريـــن)

جزيرة من جزر الخليج العربي تواجه البحرين كان بها خمسة أديرة لخمس شعب من النصارى . ويروى أن العلاء لما أمر المسلمين بالذهاب إلى دارين لم تكن لديهم سفن يركبون البحر بها فنهض فيهم فقال : لقد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر فانهضوا إلى عدوكم . وثم استعرضوا البحـــر إليهم . فإن الله قد جمعهم . فأجابه قومه (نفعل) ولا نهاب .

وفي رواية أخرى : أن العلاء لم يذهب بالمسلمين إلى دارين في هذه الحرب، وأن دارين بقيت في عزلتها ولم تعد إلى الإسلام وإلى حكومة شبه الجزيرة العربية إلا في عهد عمر بن الخطاب .

أنظر : سنان محمود بهجت، البحرين درة الخليج العربي، ط١، بغداد ١٩٦٣م، هامش صفحة ٥٣ .

الرائد (بريدو) كلفته حكومة الهند البريطانية رسميا باكتشاف القبور المقببة بالبحرين وإعداد تقرير مفصل عنها . وقد سبقه الكابتن (دورند) والسيدة (بنيت) ولكنهما لم يكتشفا سوى قبر أو اثنين . أما (بريدو) فقد قام بفتح أكثر من ٣٧ قبراً ووصفها بدقة . وقد تولى (بريدو) حفر هذه القبور في الأعوام ١٩٠٦م - ١٩٠٩م وكان (دورند) قد عاش في البحرين عام ١٨٧٨م بصفته مساعدا للمقيم السياسي .

أنظر : الوثيقة، العدد ٣، يوليو ١٩٨٣م، ص١٥١ و١٥٢ و١٩٥ .

أما (جيوفري بيبي) الدنمركي فقد بدأ حفرياته عن آثار البحرين في ١٩٥٣م فبدأ في آثار معبد (باربار) .

٥ - التنقيبات التي أجريت في البحرين :

الكابتن آى. إل. دورند	تلال عالي	٩/١٨٧٨
ثيودور بنت	تلال عالي	١٨٨٩
إم. جوانين	تل غير محدد	١٩٠٢
الكابتن إف. بي. بريدو	٦٧ تلا	٨/١٩٠٦
إرنست مكاي	تلال عالي	٦/١٩٢٣
الدكتور بيتر كورنول	مسح آثارى	٤٤/١٩٤٠
البعثة الدنمركية برئاسة البرفيسور بي. تي. جلوب وجفرى بيبي الدنمركي عام ١٩٥٣م فبدأ في اثار معبد (باربار)	قلعة البحرين باربار - عالي	٧٠/١٩٥٣
السيدة إى. بي. جفرسون	شمال الهملة قبر ذو طابق واحد	١٩٦٨
الكابتن هايهام	٤٧ تلا متفرقا	

قسم الآثار – وزارة التربية والتعليم	الشاخورة	٧٠/١٩٦٩
بقيادة مدير الآثار والمتاحف		
الدكتور عبد القادر التكريتي		
	الحجر – موقع ١و٢	٧٤/١٩٧٠
	قرية الدراز	١/١٩٧٠
	أم الحصم وأبو عشيرة	٣/١٩٧١
	مجموعة جد حفص	٣/١٩٧٣
	موقع قبر بالقرب من مون بلازا	١٩٧٣
	بستان نخيل في الماحوز	
الدكتور إيه دبليو ماكنيكول	أبو عشيرة (٥٦ قبرا)	
	مسح مبدئي	
بعثة مشتركة من قسم الآثار ولجنة دراسات الخليج العربي	المرخ	٤/١٩٧٣
قسم الآثار	المقشع	١٩٧٥
بعثة مشتركة من إدارة الآثار ولجنة دراسات الخليج العربي	المرخ	١٩٧٦
	الدراز	
	شمال عالي	
	شمال القرية	
اليونسكو	مسجد الخميس	١٩٧٦
بعثة عربية لإنقاذ الآثار (ضمت اليونسكو وممثلين من ٢–٥ بلدان عربية)	سار	١٩٧٧
بعثة بحرينية – بريطانية مشتركة	معبد الدراز	١٩٧٨
الدكتور م. رواف		
إدارة الآثار	جد حفص	
	ميناء القلعة الإسلامية	
بعثة دنمركية	(قلعة البحرين)	
إدارة الآثار	تلال كرزكان	
بعثة بحرينية فرنسية مشتركة	القلعة الإسلامية	
برئاسة الدكتورة مونيك كرفان	(قلعة البحرين)	
إدارة الآثار – حفريات إنقاذ الآثار	المقشع	
بعثة بحرينية – وفرنسية مشتركة	قلعة عراد	

إدارة الآثار للتنقيب تبعتها عملية ترميم من وزارة الداخلية	قلعة أبي ماهر	٩/١٩٧٨
بعثة بحرينية استرالية مشتركة برئاسة دي . بتكوز .	سار والشاخورة	٨٠/١٩٧٩
بعثة بحرينية – فرنسية مشتركة برئاسة ج . ت سال	أم جدر	١٩٧٩
برئاسة ج. ت سال	جنوسان	١/١٩٨٠
إدارة الآثار	سار	١٩٨٠
إدارة الآثار	المالكية	
إدارة الآثار برئاسة الدكتور محمد رفيق موغل	سار	١٩٨٠
إدارة الآثار برئاسة الدكتور محمد رفيق موغل	قرية بوري (موقع مدينة حمد)	١٩٨١
	الرفاع الغربي	
بعثة بحرينية فرنسية مشتركة برئاسة الدكتورة مونيك كرفان	القلعة الإسلامية	

أنظر : أنجيلا كلارك، جزر البحرين، طبع البحرين ١٩٨٤م ص٣٣١-٣٣٣ .

٦- **الطباعة** : ابتدأت الطباعة في البحرين من عام ١٩١٣م الموافق ١٣٣٢هـ. حين افتتح دكانان بشارع ولي العهد بالمنامة لطباعة الدفاتر التجارية والكراسات الدينية والعلمية . وبعد الحرب العالمية الأولى أدخلت تحسينات على المطبعة وانتقلت المطبعة إلى مبنى آخر غربي جامع الشيخ قاسم بن مهزع . أما المطبعة التي كانت كأداة لنشر الثقافة فقد بدأت في عام ١٩٢٢م حين طبعت كتاب (مجاري الهداية) لمؤلفه الربان الخليجي (راشد بن فاضل بن سيف البنعلي) . وتوالت طباعة الكتب الأخرى . وفي الثلاثينات كانت تجربة الطباعة الثانية في البحرين وهي طباعة حديثة، وقد نجحت وتطورت واستمرت زهاء ثمانية عشر عاما . ثم تأسست مطابع حديثة أخرى في منتصف القرن العشرين . أنظر : الوثيقة، العدد الخامس، يوليو ١٩٨٤، ص٥٨-٧٤ .

الوثيقة، العدد الخامس، يوليو ١٩٨٤، ص٥٨-٧٤ .

٧ - بدأ التاريخ البريدي في البحرين في الأول من أغسطس ١٨٨٤م حين تم فتح دائرة بريد المنامة تحت إشراف أحد الأوربيين ويدعى (أوشيا) . وعرضت للبيع الطوابع الهندية وهي تحمل

صورة الملكة فكتوريا . وطلب القبطان (بريدكس) من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة السماح لرئيس البوسطة في الخليج أن يتوجه للبحرين لأجل تنظيم أمـور البوسطة وذلك في فبراير ١٨٩٩م . ثم أسست في المحرق ثاني دائرة بحرينية للبريد في يونيو ١٩٤٦م .

وتلا ذلك نشاط بريدي واسع في السنوات اللاحقة إذ فتحت دائرة بريد ثالثة في عوالي عام ١٩٥٠م . وفي ١٥ فبراير ١٩٥٣م تم إصدار أول طابع محلي يحمل صورة الشيخ سلمـان بن حمد آل خليفة . أنظر : الوثيقة، العدد ٦ يناير ١٩٨٥م، ص١٩٢-١٩٤، والوثيقة، رقم ٤٣/ ١٨٩٩ . مؤرخة في ١٢ فبراير ١٨٩٩م .

وفي عام ١٩١٩م شيد أول تلغراف لا سلكي في الحورة واستمر حتى عام ١٩٣١م حيث بدأت شركة البرق واللاسلكي المحدودة أولى خدماتها رسميا في البحرين .

وفي ١٩٤٤م بدأت خدمة الاتصالات اللاسلكية البرقية وكان مقرها في شارع الحكومة ثم في محل باب البحرين سابقا .

أما خدمات (الهاتف) فقد ارتبطت في البداية في عام ١٩٣١م مع بدء خدمات شركة البرق واللاسلكي . وفي عام ١٩٤٩م تم تركيب الهاتف الأتوماتيكي .

أما التلكس فاستحدث في عام ١٩٦٢م . وفي عام ١٩٦٩م تم افتتاح محطة الأقمار الصناعية في (راس أبوجرجور) .

وافتتحت أول كلية هندسية للاتصالات عام ١٩٧١م . واستعمل هاتف السيارات في ١٩٧٨م .

أما أول محطة راديو في البحرين في عام ١٩١٦م .

٨ - أسست بلدية المنامة (عاصمة البحرين) في شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ عام ١٩١٩م . وشغلت قسما من عمارة الحاج يوسف بن أحمد كانو في شارع التجار فوق بنك الرافدين وقتئذ . وبعد سنة من الإعداد والتنظيم انتقلت إدارة البلدية إلى بناية المغفور له الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة فوق المكتب الذي يشغله العجاجي المقابل لباب البحرين . وهي تعد من أوائل الدوائر الرسمية التي أنشئت عند بدء تنظيم الجهاز الحكومي على أسس حديثة . وكان أول رئيس لها هو الشيخ عبد الله بن عيسى بن علي آل خليفة . وأول مجلس بلدي كان مؤلفا من ثمانية أعضاء تم تعيينهم من قبل الحكومة وهم : عبد الرحمن بن محمد الزياني، عبد العزيز بن حسن القصيبي، عبد علي بن رجب، عبد النبي بوشهري، عبد الله بن حسن الدوسري، محمد شريف قطب الدين، عبد الرحمن الوزان، السيت ديوان همنداس .

وفي عام ١٣٣٩هـ الموافق ١٩٢٠م ترأس البلدية المغفور له الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة وكان نائبه خان صاحب محمد شريف قطب الدين . وظل الشيخ حمد رئيساً للبلدية حتى سنة ١٣٤٨هـ ١٩٢٩م حين خلفه في الرئاسة المغفور له الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة

وفي سنة ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م أصبح عدد أعضاء المجلس ٢٠ عضوا تم انتخاب نصفهم من قبل أهالي المنامة (وهو أول انتخاب يجري في البحرين)، وعينت الحكومة النصف الآخر.

وفي عام ١٣٦٩هـ الموافق ١٩٤٩م تقرر أن يكون عدد أعضاء المجلس ٢٤ عضوا منهم ١٢ ينتخبون من الناخبين و١٢ عضوا يعينون من الحكومة.

وفي عام ١٩٠٣ أسس مستشفى الإرسالية الأمريكية في موقعه الحالي بالمنامة وقد سد هذا المستشفى فراغا وأدى خدمات جلى لسكان المنامة والبحرين والخليج عامة.

وفي سنة ١٩٠١ بنت الدولة البريطانية دار الاعتماد في راس الرمان وكان الناس في ذلك العصر يسمونه بيت (الباليوز).

وفي سنة ١٩١٠ افتتحت في مدينة المنامة مدرسة الإرسالية الأمريكية.

وفي عام ١٩١٩م أسست بلدية المنامة.

وفي عام ١٩١٩ شيد أول تلغراف لاسلكي في (الحورة) بالمنامة.

وفي عام ١٩٢١ افتتحت أول مدرسة حكومية في المنامة في المحل الحالي لمدرسة عائشة أم المؤمنين. وأن كانت مدرسة الهداية للبنين أسست سنة ١٩١٩ في المحرق وهي إحدى جزر البحرين.

وفي سنة ١٩٢٢ شكلت دوائر الحكومة على نظام حديث ووزعت الصلاحيات الإدارية وأصبحت المنامة عاصمة البحرين.

وفي سنة ١٩٢٢ حفرت أول بئر ارتوازية في مدينة المنامة.

وفي سنة ١٩٢٨ افتتح أول ناد أدبي في مدينة المنامة.

وفي سنة ١٩٢٩ أنشئ أول مولد كهربائي في مدينة المنامة.

وفي سنة ١٩٣٢ تفجرت أول بئر للزيت في البحرين.

وفي سنة ١٩٥٨ أضيف إلى رقعة بلدية المنامة مناطق قروية مأهولة واسعة وأصبحت حدودها أوسع. أنظر: مجلة هنا البحرين، (المنامة بين الأمس واليوم)، الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة رئيس إدارة البلديات والزراعة وقتئذ، العدد ٢١٧ السنة ١٤ فبراير ١٩٧٠م.

٩ - لقد افتتحت أول محطة للكهرباء في البحرين في شهر مايو ١٩٣١م ويُعد أول مشروع من نوعه يقام في بلدان الخليج العربي. وقد قام الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة بافتتاح المحطة في منطقة (راس رمان) بالمنامة، فزودت (المنامة) بالكهرباء أولا ثم جاءت (المحرق) بعدها، وكان يرأسها المهندس السيد (ستيل) وتتبع البلدية. وزاد الطلب على الكهرباء، فأضافوا مولدات أخرى عام ١٩٣٨م وفي هذه السنة استعملت ولأول مرة المكيفات في البحرين

وكان لدائرة الكهرباء الإشراف على كثير من الخدمات الأخرى كمكائن الطحين في عام ٤٣/ ١٩٤٤م . وكان موقع دائرة الكهرباء أولا في باب البحرين ثم انتقل في عام ١٩٤٧م إلى (راس رمان) . وجدير بالذكر فإن أول من جلب مولدا كهربائيا لبيته ومقر عمله في البحرين عام ١٩١٩م/١٣٣٩هـ هو بيت كانو .

١٠ – أما التعليم (النظامي) النسوي في البحرين فقد كانت بدايته في مستهل عام ١٩٠٥م رغم معارضة الآباء – وهذا ما يحدث في كثير من المجتمعات – ورغم أن البعض يجعل من عام ١٩٢٨ – ١٩٢٩م بداية لتعليم البنات في البحرين . ولكن يمكن أن نعتبر أن أول مدرسة في البحرين أسست عام ١٩٠٥م على يد الإرسالية الأمريكية . بينما تأسست أول مدرسة حكومية في البحرين عام ١٩٢٨م في المحرق .

أنظر : الوثيقة، العدد ١٤، صفحات من تاريخ تعليم المرأة في البحرين ١٩٠٥ – ١٩٦١م، الدكتور علي أباحسين، يناير ١٩٨٩م ص١٣ .

ومن أجل اهتمامات جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة في مجالات الثقافة وبالأخص التعليم في كافة مراحله ثم الرياضة والرياضيين ورعايته لمركز الوثائق التاريخية منذ تأسيسه بديوانه الزاهر غرة عام ١٩٧٧م وإصدار مجلة الوثيقة في عام ١٩٨٢م وإنشاء قسم التراث والأدب الشعبي ورعايته لجميع الندوات والمحاضرات العلمية والتاريخية والأدبية سواء بحضوره أو من ينيبه عنه وتشجيعه للمؤلفين والكتاب والصحفيين . وهكذا فقد ازدهرت الحالة الثقافية في البلاد .

الشرطة في البحرين

لقد عرفت البحرين منذ القديم وإلى وقت قريب باعتمادها بالدرجة الأولى على الغوص وصيد اللؤلؤ وكان أكثر المواطنين يعملون في هذه المهنة تاركين أمر الأمن والشرطة إلى (فداوية) شيخ البحرين . وهؤلاء الفداوية يأتمرون بأمره . وشهدت السنوات الأولى لتولي الشيخ عيسى بن علي آل خليفة الحكم الأمن والازدهار فلم تحدث أي شكوى من الرعايا عموما ولم يرد في التقارير أية إجراءات أمنية ذات أهمية . ويظهر أن هناك حرس يعملون في فداوية الشيخ وجلهم من البلوش والهنود وأول ذكر للحرس الهندي في البحرين كان عام ١٩٠٧م إذ وصل ٢٦ جنديا من وحدة مشاة هندية لتحل محل حرس مماثل بالتناوب ووصل حرس جديد من الهند أيضاً في أكتوبر ١٩٠٨م ليقوم بدوره هناك . وجدير بالذكر فقد زودت حكومة الهند شيخ البحرين بست قطع من مدافع عيار ٩ رطل من أجل استخدامها للتحية في المراسم الرسمية وذلك في عام ١٩١٨م وكان القائمون عليها من الهنود . وكان في الشرطة ضابطان سابقان في الجيش الهندي والعديد من الجنود ذوي الرتب الصغيرة . وكان بلجريف قائد الشرطة في

البحرين من ١٩٢٦ حتى ١٩٥٥م وفي عام ١٩٢٦م خصصت الحكومة للشرطة مهام خاصة . وكانوا تابعين للبلدية ودفعت لهم رواتب وجلهم من البلوش ومنهم إسماعيليون وهم الذين كانوا من رعايا الهند قبل التقسيم (أي قبل تقسيم الهند والباكستان) وكان استخدام البلوش تقليداً قديماً لدى شيوخ البحرين كحرس لهم ولا يزال يسكن أخلافهم البحرين إلى الآن . ويحدثنا التاريخ أن (الميجر ديلي) أهان أحد الحراس من البلوش فأطلق الحارس النار على ديلي وجرحه فقتل البلوشي وعاد (ديلي) إلى بلاده على أثر تلك الحادثة . وسرحت الفصيلة . وأبدلت بشرطة من البنجاب المتقاعدين في الجيش الهندي والتي استمرت حتى عام ١٩٣٢م . وبدأ الاهتمام بالاعتماد على العناصر الوطنية في الشرطة فأرسلت (حاجي سلمان) إلى الهند للتدريب على الإجراءات القضائية وكسب خبرة عملية هناك . وهكذا أنهيت خدمة ٤٤ من أفراد الشرطة الهندية وحل محلهم أفراد محليون لأنهم فشلوا في تعلم اللغة المحلية ولم يرض المواطنون على تواجدهم وبدأت محاولات تعبئة شرطة من السكان المحليين ولكن المقيم اقترح لأسباب تتعلق بالأمن أن تكون ثلث القوة من الهنود .

فأصبح عدد الهنود في الشرطة ٥٥ فرداً . ثم زاد عددهم في أوائل عام ١٩٣١م إلى ٧١ وبعدها قل في آخر العام إلى ٥١ شرطياً وقل عدد الهنود في أواخر عام ١٩٣٢م إلى ١١ فرداً . ونتيجة للتدريب الجيد فقد اكتسبت قوة الشرطة من السكان المحليين كفاءة جيدة ولياقة ممتازة وأصبح عددهم ١٢٢ جندياً . واتخذت الدولة وسيلة تدريب المتطوعين من الشرطة المحليين في كراتشي ثم جلبت عدداً من المدربين لهذه الكتيبة . وعقدت دورة تدريب على استخدام العصا على يد معلم هندي من كراتشي . وقد تخرج من هذه الدورة عشرون شخصاً . وكانت قوة الشرطة تشمل علاوة على هؤلاء المدربين عدداً قليلاً مما يشبه (الفداوية) .

وكان رئيس الشرطة من أهل البحرين يدعى (الحاج سلمان بن جاسم) الذي توفى ١٩٣٥م . واستخدم قائد فرقة موسيقية متقاعد من الجيش الهندي لتدريب الموسيقيين في البحرين . وفي عام ١٩٣٧م عاد من الهند اثنا عشر عضواً من ضباط الصف من شرطة البحرين بعد أن تلقوا تدريباتهم في كراتشي وفي ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م عاد (الشيخ خليفة بن محمد بن عيسى آل خليفة) من الهند بعد أن تلقى التدريب في مدرسة تدريب الشرطة في (ناسك) بالقرب من بومباي وعين مشرفاً على شرطة البحرين ثم أرسل الرقيب (عبد الكريم) ابن المشرف السابق الحاج سليمان إلى (ناسك) للتدريب وعين مساعداً للمفتش في وقت لاحق . وفي عام ١٩٣٩م أصبح عدد الشرطة من الهنود ٦ فقط وعددهم في (بابكو) ٢٧٠ . وفي عـام ١٩٤٢م أصبح عدد الشرطة الهنود خمسة .

وحدث في عام ١٩٤٦م أن بدأ مواطن هندي اسمه إبراهيم يعرض عروض السينما في البحرين وكان يعرض أفلاماً هندية ومصرية . ثم قدم هندي آخر طلبا لفتح دار سينما أخرى .

أما قسم الشرطة النسائية في البحرين فقد بدأ بإنشاء هذا القسم في نوفمبر عام ١٩٧٠م ومهمته التحقيق في القضايا ذات العنصر النسائي وقضايا الأحداث إلى جانب دراسات اجتماعية . وكانت تقوم بهذه المهام ضابطتان متخصصتان في العلوم الاجتماعية . وفي عام ١٩٧٢م عينت ٩ شرطيات ثم تتابع تعيين الضابطات والشرطيات حتى أصبح عدد الضابطات في ١٩٨٦م إحدى عشرة ضابطة وأربع وتسعون برتبة ضابط صف وشرطية . وأثبت هذا الجهاز نجاحاً مشكورا .

الشرطة النسائية في البحرين . العلاقات العامة بوزارة الداخلية، يناير ١٩٨٦م، ص١ .

١١ - الإحصاء الرسمي للسكان في البحرين عام ١٣٥٩هـ/١٩٤١م فقد جرى في ليلة الثاني والعشرين من شهر يناير ١٩٤١م وبلغ عدد سكان البحرين : ٨٩,٩٧٠ نسمه منهم ٥٥ ٪ سكان المدن كالمنامة والمحرق والحد والباقي في القرى .

والإحصاء الثاني عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠ وبلغ عدد السكان في البحرين ١٠٩,٦٥٠ نسمة .

وبلغ عدد سكان البحرين في مايو ١٩٥٩م ١٤٣,١٣٥ نسمة .

= = = = فبراير ١٩٦٥م ١٨٢,٢٠٣ نسمة .

= = = = أبريل ١٩٧١م ٢١٦,٠٧٨ نسمة .

= = = = ابريل ١٩٨١م ٣٥٠,٧٩٨ نسمة .

أنظر : لمحات من ماضي البحرين، خليل المريخي، البحرين ١٩٨٧م، ص٦٣ ، وهنا البحرين، العدد ٨٥ يوليه ١٩٥٩م، ص١٦ .

١٢ - ونتيجة للبحث حول (هجرة القبائل العربية عبر التاريخ) فان الغالبية العظمى من سكان الساحل الشرقي للخليج من بر فارس وغيره، نزحوا من الجزيرة العربية، أو الحجاز . فهم من أصول عربية سواء كانوا شوافع أو موالك أو أحناف أو حنابلة أو إماميه . وقد عاد بعضهم إلى الساحل الغربي للخليج . لذا فليسوا كلهم من أصل فارسي أو هندي، بل هاجر أجدادهم من البلاد العربية ثم عاد بعضهم بهجرة معاكسة . أنظر : الوثيقة، العدد ٤٧، يناير ٢٠٠٥م، ص٧٦-١٢١ .

١٣ - راية البحرين : لاشك أن لرايات الدول تراث تاريخي يخلد ذكراها ويعبر عن أحداثها ووقائعها التي مرت بها . وتكاد تتشابه رايات الخليج إلى حد ما نتيجة لتشابه الظروف والحوادث التي مرت بها عبر أطوار التاريخ. والذي يظهر لي أن علم البحرين باللونين الأبيض والأحمر يستند في فكرته على الأساس الذي قاله الشاعر : عمرو بن كلثوم الشاعر التغلبي المولود في بلاد ربيعه والمتوفى في الجزيرة الفراتية في نحو ٤٠ق.هـ/٥٨٤م حيث قال :

وإنـا نـورد الرايـات بيضـا ... ونُصدِرُهُنّ حمرا قـد روينـا

وفي العهد البرتغالي في البحرين من ١٥٢١-١٦٠٢م، رفع حسين سعيد علما في البحرين بلونين ابيض واحمر . والذي نعرفه أن الراية بلونيها الأحمر والأبيض كانت لدولة البحرين كما هي لدولة الكويت . وراية آل خليفة جميعها حمراء سوى أنهم يجعلون شريطا أبيض مما يلي الحبل عند العمود فقط . وربما أن هذه الراية كانت موجودة حتى سنة ١٨٢٠م الموافق ١٢٣٥هـ حيث ورد في المعاهدة، أو الاتفاقية السلمية التي وقعها شيوخ الخليج مع بريطانيا . وفيها : أن يحمل العرب المتصالحون (أثناء السفر) في البر أو البحر علماً أحمر . ولهم الخيار أن يحمل هذا العلم شيئا من الكتابة أم لا ضمن حاشية بيضاء، ويكون عرض البياض في الحاشية مساويا لعرض الأحمر .

وفي ٢٢ ذي الحجة ١٣٦٩هـ الموافق في ٥ أكتوبر ١٩٥٠م وضعت حكومة البحرين نظام الأعلام وفيه :

أ) اللون : أحمر قرمزي وأبيض ويكون اللون الأبيض وهو الأصغر مساحة في الجزء الذي يحاذي السارية، والخط الفاصل بين اللونين إما أن يكون مستقيما أو مسننا، وتكون عدد الأضراس المسننة ثمانية أضراس .

ب) القياس : الطول : خمسة أقدام، والعرض : ثلاثة أقدام .

عرض القسم الأبيض : قدم واحد .

قاعدة المثلث للضرس : ٤,٥ عقدة .

وبعد الاطلاع على الدستور، صدر مرسوم في ١٤ فبراير سنة ٢٠٠٢م بشأن علم مملكة البحرين جاء فيه :

يكون علم مملكة البحرين على شكل مستطيل أفقي، عرضه يساوى ثلاثة أخماس طوله، ويقسم طوله إلى قسمين : الأول بلون أحمر قان، ويكون طوله ثلاثة أرباع طول العلم، والثاني بلون أبيض، ويكون طول العلم . أما الخط الفاصل بين اللونين الأبيض والأحمر ويكون مسننا ومقسما إلى خمسة أقسام تمثل أركان الإسلام الخمسة، ويكون كل قسم منها قاعدة لمثلث أبيض متساوي الساقين، ويمتد الساقان داخل القسم الأحمر إلى خمس ذلك القسم .

ويجوز للأفراد والمؤسسات الخاصة رفع العلم للزينة في العطلات الرسمية والمناسبات العامة أو الخاصة .

ويكون العلم الخاص بملك مملكة البحرين على شكل أفقي، عرضه يساوي ثلاثة أخماس طوله، وهو أحمر قان محاط بحاشية بيضاء من ثلاث جهات : جهة عمودية محاذية للسارية وجهتين علوية وسفلية أفقيتين .

ويمثل طول الجهة العمودية المحاذية للسارية عرض العلم، ويكون عرضها ربع طول العلم. ويوجد في وسط الثلث الأعلى من هذه الجهة شكل التاج الملكي باللون الذهبي .

ويكون طول المسافة ذات اللون الأحمر القاني ثلاثة أرباع طول العلم، وعرضها أربعة أسداس عرض العلم، أما الخط الفاصل بين اللونين الأبيض والأحمر من الجهة العمودية المحاذية للسارية فيكون مسننا ومقسما إلى خمسة أقسام تمثل أركان الإسلام الخمسة، ويكون كل قسم منها قاعدة لمثلث أبيض متساوي الساقين، ويمتد الساقان داخل القسم الأحمر إلى خمس ذلك القسم .

١٤- قال فيها أبو داود :

إذا أدبـرت تقـول قصـور   من (سماهيج) فوقهـا آطـام

وقال في القاموس : (سماهيج) بالفتح اسم موضع بين عمان والبحرين في البحـر . وقـال الأصمعي : (سماهيج) جزيرة في البحر تدعى بالفارسية (ماشي ماهي) فعربتها العرب وأنشد :

يا دار سلمى بين دارات الـموج   جرت عليها كل ريـح سيهوج

هوجاء جاءت من جبال يأجوج   من عن يمين الخط أو سماهيج

١٥ - إن أول ذكر للمنامة في التاريخ عام ٩٨٣هـ، إذ ورد في الوثائق العثمانية ذكر قلعة بميناء المنامة في البحرين حين أرسل أمير أمراء بغداد برسالة مفصلة إلى المقام العالي بخصوص فتح قلعة البحرين وإنشاء برج قوي مواجه هذه القلعة بميناء المنامـة .

١٦ - أما اليوم فعدد المساجد في أواخر عام ٢٠٠٥م ٥٣٣ مسجداً منها ٥٥ مسجداً كبيراً و٢٢٨ مسجداً متوسطاً و٢٥٠ مسجداً صغيراً .

١٧ - الصخير :

ويقع على بُعد يسير من (الرفاع) غربي (عوالي) بمسافة نحو ميلين وفيه آثار مسجد وقصور جدد بناءها الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة عام ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠١م وبنى قصرا له في الصخير . واحتفل بتجديده فشمل جلالة الملك برعايته الحفل في السابع عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠٣م . ويقع موضع (الصخير) على مرتفع يطل على أراض منخفضة من الغرب والجنوب تجتمع فيها الأمطار فتنمو فيها الأعشاب البرية . وتلك الرياض هي حمىً لسمو (الشيخ حمد بن عيسى بن علي) ترعاها إبله وخيله وأنعامه، وفيها ثلاث عيون، ومياه هذه العيـون عذبه لبعدها عن السواحل وهي : عين (أم حصاة) ثم (أم الموميان) ثم (العين الجنوبية) . أنظر : الوثيقة، العدد ٤٥، يناير ٢٠٠٤م، ص٥٩، والعدد ٤٦، ص٨٩ .

١٨ - حكى ابن الأعرابي قال جُـد بالضم اسم موضع قال وهو اسم ماء بالجزيرة أيضا وانشد :

فلـــو كانت لقـــاحي كثيـرة　　لقد نهلت من ماء جـــد وعلت

١٩ – عين الدار :

وهي ضاحية من جد حفص على الجانب الجنوبي الغربي وسكانها من المزارعين والبنائين والحلاقين .

ابن أنس :

وهي ضاحية لمدينة المنامة من الجانب الشرقي ويعمل الأهالي في صيد السمك وصيد اللؤلؤ وتجارته .

باربار :

وهي قرية تمتاز بزراعة المشمش والرمان ويشتغل الأهالي بالزراعة وصيد اللؤلؤ حيث تحيط بها الأشجار والنخيل من كل جانب ويعمل الأهالي أيضا بصناعة النسيج وفي الماضي كان معظم بيوتها من سعف النخيل وبها حوالي ٢٤٠٠ نخلة .

الدراز :

هذه القرية يعمل الأهالي بها في صناعة النسيج والزراعة وصيد اللؤلؤ . وهي على بعد ميل واحد من الشمال الشرقي من البديع وعلى بعد ثلاثة أرباع الميل من البحر .

بها منازل من الطين وحالتها جيدة وهم متخصصون في نسج العباءات وفيها من النخيل والأشجار الكثير .

الحوره :

هي إحدى ضواحي مدينة المنامة ، أهلها كانوا يعملون في الماضي بقطع الحجارة وحرق الجير، لسد حاجة البناء، وصيد اللؤلؤ والحدادة .

الجسرة :

هي قرية تقع على الساحل الغربي على بعد ثلاثة أميال من جنوب البديع : والأهالي الذين ينتمون إلى الذواوده وبني خالد يعملون في التجارة وصيد اللؤلؤ، وفيها قليل من النخيل وهي مجاورة للبحر .

رأس المطلة :

وتقع على الجانب الغربي لجزيرة البحرين ، على بعد ثمانية أميال جنوب غرب جبل الدخان ويوجد على رأس المطلة بئر تسمى عين المطلة وسهل ملحي يسمى مملحة المطلة حوالي أربعة أميال طولا. وتمتد من رأس المطلة حتى رأس روباس . ويستخرج سكان البحرين الملح من هذا المكان للاستهلاك المحلي .

دوحة القضيبية :

في الماضي كانت القضيبية مصيفا من أحسن المصايف، حيث يمتاز ساحلها الرملي النظيف، وحيث يجتمع الناس في الصيف على الساحل الشمالي الشرقي بين الجفير وقرى حالة بن أنس معظم سكان المحرق والحد وحالة بوماهر حيث يبنون مساكنهم من خوص النخيل من الجريد والدنجل ويبنون العرش والبرستي ويستعملون عين أم شعوم للشرب والاستحمام .

جـد حفص :

هي القرية، وهي على بعد ميل ونصف من قلعة العجاج، فيها من المنازل المبنية بالحجارة . والأهالي يعملون بالزراعة وتجارة اللؤلؤ وحرق الجير . والقرية غنية بالخضراوات والبرسيم والحدائق وهي تروى من عدة ينابيع . وعين الدار ضاحية جـد حفص ويقال أن عدد نخيلها ١٧ ألف نخلة، وأنواع من الأشجار التي تحمل مختلف الفواكه مثل المشمش والرمان وغيرهما .

دار كليب :

على بعد ثلاثة أميال شمال غربي جبل الدخان . فيها كثير من النخيل، حوالي أربعة آلاف نخلة . ويعمل الأهالي في صناعة الأشرعة (شراع السفن) .

المرخ :

يعمل أهلها في صناعة النسيج . وهي تقع في شرقي البديع على بعد ميل ونصف . ومعظم الأهالي يعملون أيضا بالزراعة .

الدير

هي قرية قريبة من المحرق على الساحل، على بعد ميلين في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة المحرق، وفيها مزارع وحقول البرسيم، ويربي فيها الأغنام، وخاصة الطماطم (نوع من الخراف) . وفيها منازل كثيرة، عددها ٣٠٠ منزل تقريبا من الطين، وكما يوجد فيها بيوت من السعف . ويشتغل أهاليها بصيد اللؤلؤ وصيد السمك وهم مختصون بصيد الصافي كما يوجد بعض آثار الدير (لراهب)، ومازالت آثاره تحت مسجد الدير .

راس حيان

به مبنى قديم وضخم ويقال أنه شيد على هيئة ضريح أو نصب تذكاري ويسمى راس صعصعه .

رأس الجزائر

على الساحل الغربي على بعد ستة أميال إلى الجنوب الغربي من جبل الدخان . وهو رأس داخل البحر . ويعمل السكان بصيد الأسماك . وبجواره قرية تسمي باسمه . والآن أصبح بلاجا يؤمه الناس، أدخلت عليه بلدية المنامة تصميمات تتناسب مع التطور العصري حيث أصبح

بلاجاً عاماً للناس يُستحم فيه ويقدم الأكل والمرطبات والماء الحلو للاستحمام بعد السباحة من البحر .

جزيرة حوار

طولها أحد عشر ميلاً . كما يوجد فيها حوض تتجمع فيه مياه المطر بناه الدواسر الذين يسكنون الزلاق . يوجد بها طيور موسمية يذهب إليها الصيادون لصيد الطيور . أنشئت بها الآن بعض البيوت الحديثة للسكن . ويقال فيها بقايا آثار ذات عصور متأخرة .

الهملة

بها مجموعة أشجار النخيل وبها خمسة آبار مياهها عذبه . سكنها في الماضي البدو وهي على بعد ثلاثة أميال شمال نهاية دوقة سلول، وميل ونصف من الشاطئ الشرقي .

قصاري

هي المنحدر الذي يسهل النزول فيه لغسل الثياب . ويقال كان الأهالي يغسلون ثيابهم فيه مدة من الزمن ثم ترك الأهالي الغسيل فحل محلهم الهنود في غسيل الثياب . أما الآن فقد طرأ تغير على قصاري فاستغل بعد التغيير وعمل متنزهاً .

عذاري

يقال أن عذاري هي ملتقى البحر بالماء العذب الذي يفصل هذه البحيرة عن البحر . ولعذاري أسطورة، فقد روي أن فتاة جميلة تسكن مع زوجة أبيها وكل يوم تذهب الفتاة لتغسل ثياب الأسرة جميعاً . وفي أحد الأيام ذهبت الفتاة لتغسل ثياب الأسرة فلم تجد ماءً تغسل به الثياب فأخذت تبكي أمام ساحل البحر في حالة الجزر، فقدم إليها رجل يسألها عن سر بكائها، فقالت إن لم أغسل الثياب في هذا اليوم سوف أعاقب من قبل أبي وزوجته . فقال لها هذا الرجل سوف تجدين الماء وراءك الآن، فنظرت وراءها فشاهدت بحيرة وفي وسطها ماء . وكما يقال أن هذه هي عذاري التي تسمى الآن كما تقول الأسطورة وأن الرجل هو (الخضر) .

الحالة : وهي كل قرية يحيط بها الماء تسمى حالة .

تقع القلعة في (حالة أبي ماهر) في جنوب المحرق وكانت الحالة في الماضي منفصلة عن جزيرة المحرق يحيط بها الماء من جميع الجهات . إلا أنه بعد فترة بنيت فيها البيوت .

والقلعة تشبه القلاع الموجودة في البحرين مثل قلعة الرفاع وقلعة عراد وهذه القلعة بناها الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة كما يوجد بجانبها ينبوع ماء حلو يسمى جوجب بوماهر .

الرفاع الشرقي

مدينة كبيرة فيها قلعة محصنة بعدة أبراج مراقبة مطلة على التجويف الذي يقع بوسط جزيرة البحرين من جهة ركنها الشمالي الشرقي . وهي تبعد سبعة أميال جنوبي قلعة البحرين . وهي تشتمل على مكان كثيب فاصل وتتكون القرية من نحو ثلاثمائة منزل من الطين ومنزلين

حجريين كبيرين أحدهما يسكنه الشيخ خالد بن علي شقيق شيخ البحرين الحاكم، ويسكن المنزل الآخر الشيخ صباح بن احمود أحد أفراد العائلة الحاكمة وتوجد في وسط القرية أحسن آبار وتسمي (عين خالد)، ويمكن الحصول على المياه منها على عمق ٢٠ قامة وتوجد بئر (ضيف) قريبا من القرية . وأكثر سكان الرفاع الشرقي على المذهب المالكي ويعمل معظم السكان من غير الأسرة الحاكمة في نقل مياه الشرب من المنامة إلى الرفاع ويعتبر الرفاع الشرقي من أحسن الأماكن صحياً .

وفيها عين الحنينية، وماؤها عذب، وهي عميقة، وأوقفت هذه العين على جميع الناس وكانت النساء يرتدنها ويتسبحن فيها ويشرب منها الفقراء .

قلالي

قرية على الساحل الشمالي الشرقي لجزيرة المحرق من البحرين . تتكون من ٤٥٠ منزلا من الطين وفروع الأشجار، فيما عدا اثنين من الدور المذكورة فهي من الحجر الأحمر . ويوجد فيها برج مربع كعلامة يهتدي بها الملاحون . وبجوار المنزل المربع توجد ثلاثة مدافع وذخيرة يرجع تاريخها إلى عهد سحيق ولذا فلا يعرف مصادرها . وسكان قرية قلالي أكثرهم من قبيلة المنانعه حوالي(١٠٠ منزل) ويعملون بصيد اللؤلؤ وتجارته وصيد السمك . وتملك القريـة عدداً من المراكب . وخلاف ما ذكر فهناك ٢١ مركباً لصيد اللؤلؤ .

وتوجد بها نخيل، وبها من الحيوانات قطعان من الماشية . ويتبع قلالي جزيرة الجردي .

الرفاع الغربي

هي مدينة تقع في أرض حجرية من جزيرة البحرين . وتبعد ميلا مربعا غرب وشمال غربي الرفاع الشرقي . وتطل على وسط الانخفاض الكبير للجزيرة من جهة الشمال . وتتكون من نحو أربعين كوخا ومنزلاً حجرياً واحد يسكنه أحد أفراد الأسرة الحاكمة . ويعمل معظم السكان ببيع الماء الذي يجلبونه على ظهر الإبل من المنامة . وتقع بئر غويفه على السهل المرتفع ويعتبرها السكان من أحسن الآبار في الجزيرة . وربما لا تكون مياهها نقيه مثل بئر الحنينيه النابعة في الرفاع الشرقي . ولا يوجد بالقرية نخيل أو أشجار أخرى، وفيها بعض الحيوانات . ويعتبر الرفاع من أحسن الأماكن الصحية في البحرين .

من التراث القديم

القاضي الشويطر

إن كان الشيخ قاسم المهزع هو (القاضي الرئيس) فالشيخ حسن بن عبد الله الشويطر هو (القاضي الشويطر) . نعته بذلك الشيخ المميز (عبد الله بن عبد العزيز المبارك) . وكان قد غلب عليه المهنة التي امتهنها وهي أنه مميز المحاكم رغم ما عرف عن آل مبارك من مواصلتهم للعلم والبحث والتعليم والتأليف . فكان إذا أعيت المميز مسألة في الشريعة كان لها الشيخ الشويطر . وإذا استعصت مسألة في الفرائض كان الشويطر .

ولد في عراد صيف ١٣٣٠هـ . والده كان إماماً وسكن المحرق .

ودراسته في كُتّاب (خميس محمد) في فريق (بن هندي) والسيد (عبد الوهاب بن يوسف) في فريق (الزياني) فحفظ القرآن وهو زميل (راشد بن عبد الرحمن الزياني) في الكُتّاب . وبعد سنة انتقل إلى الشيخ (عبد اللطيف بن علي الجودر) القاضي وسكن في المحرق . درس الفقه والتوحيد والنحو على يده في مدرسة (سلمان بن حسين بن مطر) ودرس الفرائض عند الشيخ (محمد بن علي الحجازي) في مسجد الشيخ (حسن بن عبد الرحمن) الذي يسمّي اليوم مسجد (محمد بن علي) . وتردد في الحسا عند الشيخ (محمد بن أبي بكر الملا الاحسائي) في الرباط في الكوت . ختم القرآن وله من العمر تسع سنوات فاشترى له أبوه خروفاً بـ ١٢ ربية . درس في المسجد المعروف بمسجد (إبراهيم بن يوسف) في سوق المحرق ولازال . وممن قرأ عنده (راشد بن علي العيناتي)

في الفرائض و (علي بن يوسف السندي) و (عبد الله بن إبراهيم المذن) في الجواهر الزكية في الفقه و (عبد الكريم بن يحيى) في العشماوية وأردت أن يقرأ أحد في الفرائض لأن الفرائض لا يستطيع أحد عملها مثلي فقد عملت فريضة للمحميد والجلاهمة عجز عنها الكل . ويؤم الجماعة في نفس المسجد ويخطب من مدة ١٥ سنة . وتدريسه مجاناً في حساب الفرائض والفقه والنحو . وقد درّس في القلعة الشرطة وحدث عصراً لمدة سنة وصلى صلاة العيد ١٣٧٩هـ .

وعمه الشيخ (راشد بن حسن الشويطر) أوصى له بمكتبته حين كان يعلّم بكُتّاب التوحيد . وكان عمه عند (محمد بن عبد الوهاب بن هارون) الذي يتصف بالكرم في (دارين) قرب رأس تنورة وهو قاضيهم وكان (محمد بن هارون) إذا مروا به للهند يمنعهم من الطبخ لكرمه وكان أمير (دارين) لما صار الشيخ راشد قاضياً وكان عالماً . والشيخ راشد من علماء ومدرسي مدرسة الهداية وهي أول مدرسة للبنين في البحرين أسست عام ١٩١٩م .

وعاصر الشيخ (عبد الله بن عبد العزيز آل مبارك) وكان مميزاً في المحاكم وكان يرسل له بعض القضايا الشرعية للاستشارة فكان يقول : "لها القاضي الشويطر" .

وبقي سنة في مكة مع الشيخ (محمد بن سلمان) ومع الشيخ (عبد الله الممين) والشيخ (يوسف الصديقي) وحج عن طريق كراجي وسافر للهند للاستشفاء تسعة أشهر في (ميرات) . كما سافر إلى قطر مع أهله حين كانوا يذهبون للغوص .

التجارة بين دلمون



والبابليين القدماء

٢٠١٧ — ١٧٥٩ ق. م

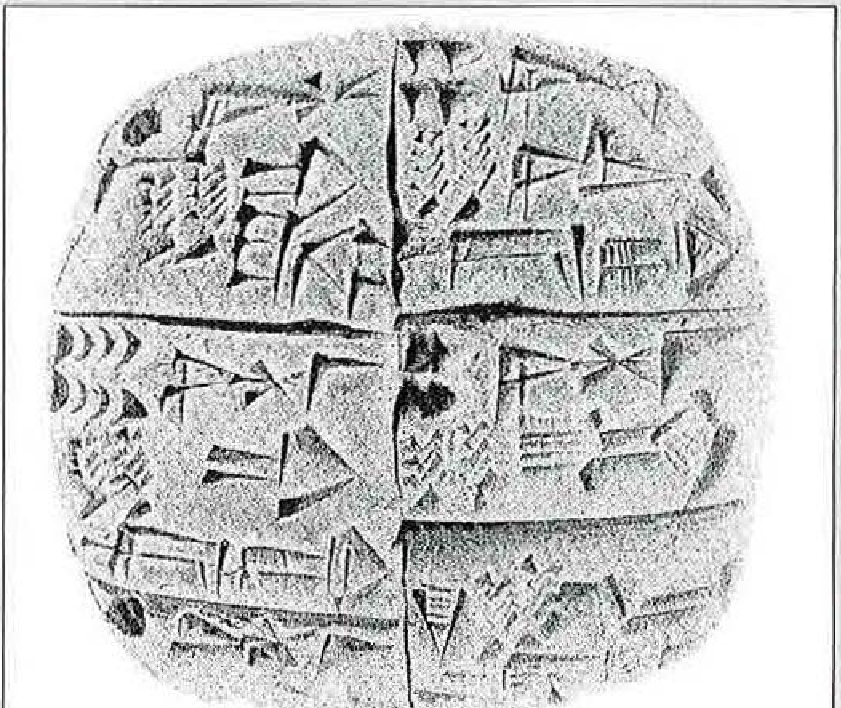
بقلم عبد الجبار محمود السامرائي

لعبت مملكة البحرين من خلال نشاطها التجاري الواسع – عندما كانت تعرف بـ (دلمون) – دوراً بارزا وهاما في عملية التفاعل الحضاري بين المراكز الحضارية في منطقة الخليج العربي من جهة، والمراكز الحضارية في منطقة الشرق الأدنى القديم من جهة أخرى، ولاسيما مراكز حضارة بلاد الرافدين[١].

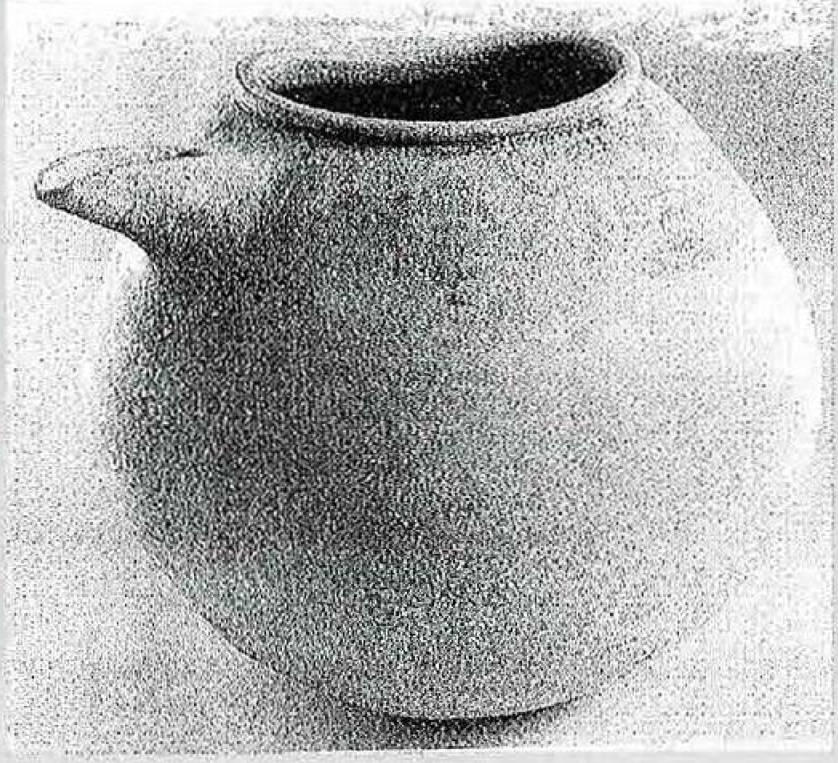
ومن المرجح أن النشاطات التجارية الدلمونية، بدأت قبل زمن نشوء الكتابة المسمارية في بلاد الرافدين (٣٢٠٠ – ٣٠٠٠ ق. م)، وازدادت مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد، حيث شهدت بواكير تفتح الحضارة الدلمونية، بل وامتدت إلى الألف الثاني قبل الميلاد، والذي يمثل فترة متقدمة في مجال العلاقة العالمية للدلمونيين[٢]، وخاصة مع الحضارة البابلية، أي في العصر البابلي القديم (٢٠١٧ – ١٧٥٩ق. م).

لقد كانت الحضارة البابلية، على الرغم من ثرائها وقوتها، فقيرة جداً بالموارد الطبيعية، وشديدة الاعتماد على شبكات التجارة الدولية في الحصول على المواد والمنتجات الملبية لطموحاتها . وكان النقل البحري يعدُّ الأسرع والأجدى والأكثر أماناً بالمقارنة مع تجارة القوافل البرية ؛ وهذا ما جعل من دلمون المحطة المثلى على الطريق البحري . وقد عرف سكان دلمون كيف يستغلون هذه الميزة الطبيعية في التحول إلى وسطاء تجاريين لا غنى عنهم ؛ وأصبحوا بالتالي يتحكمون بالنقل البحري وتجارة الخليج، ونجد ذلك في (الألواح) الاقتصادية المسمارية التي اكتشفت في بلاد وادي الرافدين، حيث عثر على لوائح طويلة بمنتجات تحمل اسم (دلمون)[٣] .

وتؤكد النصوص المسمارية على الجانب التجاري في العلاقة بين (دلمون) ومدن جنوبي العراق . ومن الطبيعي أن حجم المبادلات الواسعة في مختلف البضائع، أدى إلى تكوين مصالح مشتركة دفعت بأهل المنطقتين إلى تعزيزها ؛ حيث دفعت بأعداد من سكان دلمون وبلاد وادي الرافدين للاستقرار في الجانب الآخر ؛ بغية رعاية مصالحهم التجارية ومتابعتها عن قرب . ومما يدعم ذلك، العثور على أختام تعود لتجار دلمونيين في أكثر من مدينة عراقية، يشير وجودها واكتشافها إلى أن العديد من أولئك التجار قد أقاموا بشكل ثابت في تلك البلاد لأغراض تسويق البضائع الدلمونية فيها . ومما يدعم ذلك، نص مسماري وجد في مدينة (أور) ؛ عبارة عن عقد تجاري لتصدير الصوف والقمح والزبيب إلى دلمون، يعود تاريخه إلى سنة ١٩٢٣ ق. م، وقد ختم بواسطة تاجر دلموني ؛ الأمر الذي يشير إلى وجود صلات تجارية بين (أور) في بلاد الرافدين ودلمون ؛ حيث كان التاجر، صاحب الختم، يمثل مصالحها، أو أنه كان ممثلاً لتاجر مقيم في (فيلكا) المدينة التجاريـــة الدلمونية الثانية في الخليج العربي[٤] . وفضلا عن هذه الوثيقة، فقد تم العثور في مدينة (أور) على ثمانية أختام دلمونية، وهي إما أن تكون قد أتت من المركز الرئيسي لدلمون (مملكة البحرين)، أو



وثيقة إدارية دلمونية تذكر منتجات من دلمون



آنية ذات مزراب من التقليد العماني

من فيلكا، أو من مراكز حضارة دلمون الأخرى المنتشرة على طول ساحل الجزيرة العربية الشرقي . ويتبين من هذه الأختام : الدور المهم الذي لعبته (دلمون) في التجارة مع (أور)، وتعد دليلاً على اتخاذ بعض الدلمونيين لها مقراً لإقامتهم[٥] .

وفي إحدى الرسائل الموجهة إلى أحد التجار الدلمونيين، والتي كتبها موظف تابع للملك (رام — سين) ١٨٢٢ — ١٧٦٣ق.م)[٦] من أسرة (لارسة) : (أن القصر له اهتماماته بتجارة دلمون، وأنه يعمل على توطيد العلاقات التجارية الهامة) . ويشير هذا التعبير بطريق غير مباشر إلى الملك (رام - سين) كسلطة تشرف على القصر، وتدير الحكم، والتي لابد وأن كانت تتعامل مع سلطة إدارية في دلمون، لا تقل عن مستواها ونفوذها الإداري[٧] .

الاستيرادات البابلية من دلمون

أما مستوردات البابليين القدماء من دلمون، فيمكن إجمالها في الآتي :

تشير المصادر المتوافرة إلى أن استيرادات بلاد الرافدين، كانت تتركز في المواد الأولية الضرورية لقيام الحضارة، وغير المتوافرة في العراق آنذاك، وبخاصة المعادن والأحجار والأخشاب والعطور والأحجار الكريمة وشبه الكريمة والعاج والأدوية والتوابل .

فمثلاً، كان الذهب يستورد من دلمون، ولم يكن هذا المعدن الثمين يستعمل كواسطة للتبادل التجاري إلا نادراً، وإنما كان يستعمل كحلي للزينة، أو على أساس أنها قطع نادرة ذات قيمة عالية[٨] .

وكانت بابل خلال فترة حكم الملك (رسو — إيلوم) (١٨٨٠ — ١٨٤٥ ق.م) تستورد مختلف المواد التجارية من دلمون، مثل خشب الميسور والذهب واللؤلؤ

واللازورد (الفوهق) والتماثيل المرصعة بالعاج، والتي كانت دلمون تستوردها من (ميلوخا)، حيث يوجد خشب الميسور والعاج والذهب الذي يأتي إليها من جزيرة العرب، كما أن النحاس كان يأتيها من (مجان) . أما اللؤلؤ فكانت دلمون تستخرجه من قاع البحر المحيط بها[٩] .

أما النحاس، فقد احتل مكانة مهمة في استيرادات البابليين، وكان يستورد من دلمون . ويبدو أنه كان هناك تجار متخصصون في المتاجرة بالنحاس ومنتجاته في بلاد بابل، حيث تشير الوثائق التاريخية إلى واحد من أشهر تجار النحاس العراقيين في العصر البابلي القديم، اسمه (أيا — ناصر)، كان يسافر ويبقى مدداً طويلة . وكان يتسلم خلال فترة غيابه رسائل من وكلائه في (أور) . وقد تم العثور على بيت (أيا — ناصر) التاجر الدلموني في موقع (أور)، وهو بيت متواضع مساحته ١٥٠٠ قدم مربع، ويتألف من خمس غرف مشيدة حول ساحة البيت، ومدخله يطل على شارع مغلق، وجدرانه مشتركة مع بيوت جيرانه . ويظهر أنه لم يكن ثرياً، لكنه لعب دوراً كبيراً في استيراد وتسويق النحاس الدلموني بشكل خاص . ولقد عثر في بيته على ثمانية عشر لوحاً مكتوبة بالخط المسماري، توضح بشكل مؤكد أنه كان وسيطاً للحصول على النحاس من دلمون، وغالبية الألواح عبارة عن رسائل تطلب منه أن يقدم كميات من النحاس من أشخاص معينين إلى آخرين . وفي أحد تلك الألواح، يتهم بتأخير الدفعات، وتشتكي أخرى من سوء نوعية السبائك النحاسية التي أرسلها (أيا — ناصر) إلى ذلك التاجر .

وأهم تلك الرسائل وأطرفها ؛ رسالة من شخص يدعى (ناني — Nanni) من سكنة (أور)، وأحد المتعاملين مع (أيا — ناصر) في تجارة النحاس . تتحدث تلك الرسالة عن خلافات دارت بينهما، وكانت شديدة اللهجة، يعاتبه فيها عن سوء معاملته التجارية له . ويقول (ناني) لـ (أيا — ناصر) ما معناه : "حينما جئت إلينا، أخبرتني قائلاً : أنا سوف أعطي رسولك (جميل

– أي يُ) حين يأتي، سبائك نحاسية من النوع الفاخر، ولكنك لم تنفذ وعدك لي ؛ فقدمت سبائك رديئة إلى رسولي (ست – سب Sit Sib)، وقلت له : إذا أردت أن تأخذها فخذها، وإذا لم ترد أخذها فاتركها وانصرف . ماذا تراني أكون في نظرك حتى تعامل شخصاً مثلي بهذا الازدراء ؟ لقد أرسلت العديد من الرسل، وهم رجال محترمون مثلنا ؛ ليجمعوا البضاعة بأموالي المحفوظة لديك، ولكنك عاملتني معاملة مزرية ؛ حيث قمت بطردهم وأعدتهم خاليي الوفاض عدة مرات عبر أراضي غير صديقة أيضاً ! وإني أتساءل : هل هناك بين التجار الذين يتاجرون مع دلمون من أقدم على معاملتي بهذه الطريقة ؟ إنك أنت وحدك الذي يعامل رسلي بازدراء ! وكل ذلك على أساس أني مدين لك بـ (مان – Mana)[١٠] واحدة من الفضة .

ولذلك فإنك تعطي لنفسك الحق بأن تتعامل معي ومع رسلي بهذا الأسلوب ؛ بينما أنا من جهتي ؛ قدمت إلى القصر نيابة عنك ١٠٨٠ رطلاً من النحاس ، كما قدم أيضاً (شومي آبوم – Sumi Bumz) بالمثل ١٠٨٠ رطلاً من النحاس، فضلاً عما كتبناه نحن الاثنين على لوح مختوم ، ليحفظ في معبد الإله شمش[١١]، فكيف عاملتني أنت من أجل النحاس ؟! ومن أنت ؟ لقد احتفظت بحافظة نقودي في أراضٍ عدوة . والآن يجب عليك أن تعيد أموالي كاملة، وأن تعي من الآن فصاعداً أنني لن أقبل أن يصلني أي نحاس رديء من قبلك . ومن الآن فصاعداً، سوف أختار وأستلم السبائك فرادى في فنائي، كما أني سوف أمارس ضدك حقي في الرفض ؛ لأنك عاملتني بازدراء"[١٢] .

ولكن (نائي) يذكر أن (أيا – ناصر) قد سلم رسوله سبائك نحاسية رديئة، وأن الجودة والرداءة لابد وأن كانت تعتمد على نسبة المواد الأخرى أمثال (النيكل) و (الزرنيخ)، التي كانت تدخل في تركيب السبيكة النحاسية . وبذلك تكون نسبة هذه المواد تختلف من سبيكة لأخرى حسب الجودة[١٣] .

وتذكر وثيقة أخرى تقسيم (أيا – ناصر) لإرسالية نحاس وصلت من دلمون إلى أقسام عدة بين مختلف المستوردين . إحدى هذه الرسائل تذكر ما نصه :

" إن كميات النحاس المستورد من دلمون . . في وزن أور تعادل ٦١١ طالين[١٤] و ٦ وثلثين مانا نحاس" .

وترينا الوثيقة كميات النحاس الكبيرة التي كانت ترد إلى مدن العراق الجنوبية من منطقة الخليج العربي . فالإرسالية المستوردة من دلمون لا تقل عن ١٨,٥ طن متري، وأن قوائم العشور والعطايا إلى معبد الإلهة (نينكال) تعطينا فكرة جيدة عن حجم التجارة الواصلة إلى أور، ويأتي النحاس في المقدمة على الدوام[١٥] .

ولدينا نصان من أور، معاصران للتاجر (أيا – ناصر) يذكر أحدهما اسمي شخصين هما (أميلو ميشلابيتي) و (نيكسأ تابسا) اللذان اقترضا من (أور – نانتار) (متَين) من الفضة، وخمسة (كور)[١٦] دهن سمسم، وثلاثين ثوباً ؛ كرأس مال لشركة في سفرة تجارية إلى دلمون لشراء نحاس . واللوح الثاني عبارة عن قرض مقداره خمسة (شيقلات) فضة، لشراء لؤلؤ وبضائع أخرى في سفرة تجارية إلى دلمون . وأن اثنين من التجار كانا من أهالي دلمون، وقد دفعا العشور إلى معبد الإلهة (نينكال)، وهذا يعني أن جماعة من أهالي دلمون تسكن في (أور)[١٧] .

ومن الدلائل على وجود جالية دلمونية في أور كانت تعمل بالتجارة، قيام الملك (ورد – سن) ابن (كودور مابوك) من سلالة لارسة (١٧٧٠ – ١٧٥٩ق.م) بتجديد وربما تشييد معبدٍ للإلهة (أننين) في أور أطلق عليه اسم (معبد دلمون) . ولهذا الإجراء دلالته، منها أن الإلهة (أننين) لابد وأن كانت لها قدسية وشعبية كبيرة في دلمون، ولذلك شيد الملك المذكور هذا المعبد[١٨] .

ويظهر اهتمام (ريم — سن) خليفة الملك (ورد — سن) وأخيه، في تجارة دلمون من رسالة حررها أحد موظفيه لأحد التجار، تحدث فيها عن اهتمام سيده الملك بتجارة دلمون[١٩] .

وهناك رسالة من حاكم (ماري)[٢٠] الآشوري (ياسمخ أداد) (١٧٢٤ — ١٧٠٨ق.م) وهو ابن الملك (شمشي أداد الأول) (١٧٥٣ — ١٧٢١ق.م) بعث بها إلى الملك البابلي حمورابي، يذكر فيها قافلة تجارية أرسلت من (ماري) إلى (دلمون)، وقد تعرض لها في بلاد بابل شخص يدعى (إيلي إيبوخ)، ويخبره بأنه سوف يزوده بمعلومات تفصيلية حول الأمر . وتدل هذه الرسالة على وجود علاقات تجارية بين ماري ودلمون، ولذلك اهتم حاكم ماري بالأمر . وكانت القافلة التجارية تتبع طريق الفرات، سواء الطريق النهري أو الطريق المحاذي للنهر حتى رأس الخليج العربي، ومنها إلى دلمون[٢١] .

وفي نص عن وصول حمولة من دلمون إلى أور، نرى فيه ذكراً للأوزان، حسب مقاييس دلمون وأور سوية :

١٣١ (+ + [؟] مناً نحاس)، حسب مقاييس دلمون التي تم تسلمها في دلمون .

منها ٥٠٠٢ (+ ×) ثلثين مناً نحاس، حسب مقياس دلمون قد سلمت إلينا ووزنها حسب مقياس أور

مجموعها ٦١٠ طالين و٦ وثلثين مناً نحاس

منها ٢٤٥ طالين و ٥٤ وثلث مناً نحاس التي أعطاها لنا

٤٢٧١ ونصف مناً نحاس مدانة

إلى أيا — ناصر

٣٢٥ مناً نحاس مدانة

إلى نوريوم إيلي

البقية . . .

سوية ٤٥٠ طالين ٢ وثلث منّاً نحاس حسب مقياس أور التي أعطاها

البقية ١٦١ طالين ٤ وثلث منّاً نحاس

[إن المنا بأور = ٥٠٤ جرام

[إن المنا بدلمون = ١٤٠٠ — ١٤١٠,٧ جرام

[منّا دلمون = ١٣٢٩,٦ = ١٣٤٨,٩ جرام

[منّا دلمون = ١٣٤٣ جرام

[منّا دلمون = ١٣٧١,٥ — ١٣٧٦,٨ جرام(٢٢)

إن ضبط عملية التعامل التجاري بين سكان بلاد الرافدين أنفسهم ومع غيرهم، وبالأخص الدلمونيين، فرض عليهم إيجاد نظم وقوانين تحكم العلاقات التجارية وتنظمها، ولاسيما ما يتعلق بالقروض وتنظيمات التجار والعقود، ويبدو ذلك واضحاً في النصوص التي تلقي الضوء على العلاقة بين التاجر المستثمر (صاحب رأس المال) والتاجر الرحالة، الذي يمكنه الاستفادة من ماله، بالإضافة إلى الفائدة . وإن موقفه هنا موقف الدائن الذي لا شأن له بنتائج الصفقة التجارية، فيما يتعلق بالخسارة على أقل تقدير . ونلاحظ هذا المفهوم واضحاً في قوانين حمورابي الذي نظم تلك العلاقة التجارية، وفرض على التاجر المستثمر أن يتحمل الخسارة، إذا كانت ناجمة عن تعرُّض الرحلة لاعتداء خارجي، أو بسبب ظروف خارجة عن إرادة التاجر الرحالة، حيث كانت السفرة الواحدة من (أور) إلى (دلمون) تستغرق ثلاثة أيام، وكانت محفوفة بالمخاطر، حيث الرياح المصحوبة بالمطر، والقراصنة الذين يجوبون عرض البحر(٢٣) .

الصادرات البابلية إلى دلمون

أما صادرات العراق في العصر البابلي القديم إلى دلمون، فكانت السلع الزراعية والسلع المصنعة .

فالسلع الزراعية تضم : الشعير والزيوت النباتية والصوف . وقد عثر في أور على طبعة ختم موجود ضمن مجموعة (ييل) Yale البابلية، تعود إلى السنة العاشرة من حكم الملك (كونكونوم) في (لارسة) سنة ١٨٥٧ق.م وهو عبارة عن عقد حول بضاعة مرسلة إلى دلمون تتكون من الصوف والحنطة والسمسم . ويوجد على طبع الختم رجلان، كل منهما يرتدي مئزراً . والختم يماثل الختم الدلموني الذي يدل طبعه على التبادل التجاري آنذاك[٢٤] .

ومن النصوص المسمارية التي توضح جانباً آخر من العلاقة التجارية الوثيقة بين التجار الدلمونيين والبابليين القدماء، والتي تنسب لفترة حكم (سامسو — إيلونا) ملك بابل أو (سمو — إيلونا) Samau - Iluna (١٧٤٩ — ١٧١٢ ق.م) ؛ والنصوص التي وجدت في معبد الإلهة (ننيكال) في مدينة (أور)، تتحدث عن السفر المستمر لتجار من (أور) إلى دلمون بقصد المتاجرة بالكثير من البضائع والسلع التي تحتاج إليها دلمون، فكانت تلك النصوص تصف الهدايا التي يقدمها البحارة للمعبد، كعرفان بالجميل : بسفرة تجارية موفقة، مع الإشارة إلى نسبة العشرة بالمائة التي يهبها التجار الدلمونيون للمعبد عن أرباحهم من التجارة المشتركةبينهم وبين التجار من بلاد الرافدين ؛ حيث يشير أحد النصوص الوثائقية المكتشفة في (أور) إلى أن اثنين من التجار الدلمونيين قاما بدفع تلك العشور . ويعد هذا النص خير دليل على تواجد الدلمونيين في عصر الدولة البابلية القديمة في بلاد الرافدين . وبالمقابل، وجود تجار من بلاد الرافدين، يقيمون في دلمون . كما أن المعاملات التجارية كانت

مربوطة بما يدفع كضريبة العشور التي يدعو الالتزام الديني إلى ضرورة تنفيذها[٢٥] .

أما السلع المصنعة : فتضم الألبسة الجاهزة والمنسوجات التي كانت تصنع بكميات كبيرة في منطقة بابل، وكانت الأقمشة تصبغ وتطرز بمهارة ؛ جعلتها من أثمن السلع التي تصدرها بابل إلى الخارج، والتي وصفها كتاب اليونان والرومان أحسن وصف، وأثنوا عليها أعطر ثناء[٢٦] . ومعظم الألبسة الجاهزة كانت تصدر إلى دلمون[٢٧] .

* الخاتمة *

وصفوة القول، أن (دلمون) لعبت دوراً حيوياً في التجارة مع بلاد الرافدين في العصر البابلي القديم (٢٠١٧ – ١٧٥٩ ق.م)، وقد تبوأت دلمون هذا الوضع بفضل عاملين :

١ – **الموقع الاستراتيجي** : حيث شكلت هذه الجزيرة همزة وصل ومحطة تجارية مهمة بين بلاد وادي الرافدين والقارة الهندية وآسيا بشكل عام[٢٨] .

٢ – **هبة الطبيعة الحقيقية** : ففي جزيرة البحرين بشكل خاص توجد مستودعات من المياه العذبة تصل إليها من شبه الجزيرة العربية، وتصل إلى السطح على هيئة آبار كثيرة . وهذا يعني أن لدلمون ولشبه الجزيرة العربية خاصية وجود (بحر ثان) من الماء العذب . فبسبب موقع دلمون الاستراتيجي، إذن، وبيئتها الجاذبة، تمكنت من التحكم في تجارة الخليج بسهولة ويسر، وفوق ذلك كله، استطاعت فرض دورها الطبيعي كملتقى للتجارة[٢٩] . وبالمقابل فإن العراق في العصر البابلي القديم، كان هو الآخر له أهمية استراتيجية،

ويشكل ملتقى طرق النقل العابر (الترانزيت) بين قارة آسيا، ولاسيما الخليج العربي، وإلى موانئ البحر المتوسط[٣٠] .

وقد تركزت الصادرات إلى دلمون في العصر البابلي القديم على تصدير السلع الزراعية، كالشعير والحنطة، والسلع المصنعة، كالألبسة الجاهزة والمنسوجات والأقمشة المطرزة .

ويعد (طريق البحرين)، من الطرق المهمة التي كانت تربط العراق بالعالم الخارجي، ولاسيما الجهات الشرقية والهند والأجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية، حيث يعد (طريق البحرين) الطريق البحري الوحيد للاتصال بالعالم، عبر الخليج العربي[٣١] .

وهناك عدة أسباب تاريخية وجغرافية وثقافية ؛ جعلت (دلمون) تدين لموقعها المتميز في نظر سكان بلاد ما بين النهرين . ومعظم النصوص التي لدينا هي على هيئة منسوخات كُتبت في القرون الأولى من الألفية الثانية [العصر البابلي القديم]، وهذه النسخ يجري تغييرها في بعض الأحيان أو تزيينها بإضافات . وفي ذلك الوقت أصبحت (دلمون) السوق الوحيدة للتجارة بين البلاد النائية عن طريق الخليج العربي .

لقد كانت دلمون ميناءً للتجارة العابرة (الترانزيت) حيث كان يفد إليها ممثلو جميع البلاد، لتبادل وتسويق منتجاتها، وكانت واقعة تحت سيطرة تجار (أور)، وقد أصبحت بلاد دلمون في ذلك الوقت محطة مثالية، نظراً لموقعها الجغرافي ، ولوفرة مصادر مياهها العذبة، ولمنشئات رسو السفن فيها[٣٢] .

لقد تبين لنا من خلال البحث أن النصوص المسمارية تؤكد على الجانب التجاري في العلاقة بين مدن جنوبي بلاد الرافدين ودلمون، في العصر البابلي القديم . ومن الطبيعي أن حجم المبادلات الواسعة في مختلف البضائع ؛ أدت

إلى مصالح مشتركة ؛ دفعت بأهل المنطقتين إلى تعزيزها ؛ حيث دفعت بأعداد من سكان البلدين للاستقرار في الجانب الآخر ؛ لرعاية مصالحهم التجارية ومتابعتها . ومما يدعم ذلك، العثور على أختام تعود لتجار دلمونيين في أكثر من مدينة من مدن بلاد الرافدين، يشير وجودها واكتشافها إلى العديد من هؤلاء، التجار الذين أقاموا بشكل ثابت في تلك البلاد ؛ لأغراض تسويق السلع والبضائع الدلمونية فيها[٣٣] .

وهكذا، أخذت دلمون تلعب دوراً أكبر من مساحتها، كمجموعة جزر متناثرة في عرض البحر، وكامتداد جغرافي لشرق الجزيرة العربية، حيث أصبحت حضارة مركبة من مختلف العناصر البشرية والثقافية ؛ اندمجت فيها الأفكار الدينية والمفاهيم الثقافية في نسيج واحد له طابع محلي قوي، واضح المعالم ؛ يمكن تمييزه بالنسبة لثقافة الحضارات الأخرى التي برزت في الشرق الأدنى، خلال مختلف عصوره القديمة ؛ حيث حققت (دلمون) من خلال نشاطها التجاري نفوذاً سياسياً ممتداً ؛ استطاعت من خلاله مدّ شبكة تجارتها الدولية[٣٤] .

عبد الجبار محمود السامرائي
باحث وعضو اتحاد المؤرخين العرب

الإحالات

١ – عبد العزيز علي صويلح، دلمون التجارة والتجار، مجلة البحرين الثقافية، البحرين، المجلد ١٠ ، العدد ٣٧، ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٣، ص٦٥ .

٢ – هيا علي جاسم آل ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ : صلات دلمون بأمورو وبالأموريين، ٢٠٥٠ – ٣٥١ ق.م، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٦٠ .

٣ – حضارة البحرين، من دلمون إلى تايلوس، مجلة البحرين الثقافية، العدد ٢١، يوليو/تموز ١٩٩٩ ، ص١١٢ .

٤ – عبد العزيز علي صويلح، مرجع سبق ذكره، ص٧٠ .

٥ – المرجع نفسه .

٦ – الملك رام – سين Rim - Sin : هو الملك الرابع عشر، وآخر ملوك سلالة لارسة، وقد امتد حكمه لمدة إحدى وستين سنة (١٧٥٨ – ١٦٩٩ ق.م) . وفي أواخر حكمه، ظهر الملك حمورابي من سلالة بابل الأولى الذي استطاع توحيد البلاد، ثم شن حرباً دامية على الملك (رام – سين) وانتصر فيها عليه، وقضى بذلك على سلالة لارسة، في حدود عام ١٦٩٩ ق.م ؛ حسن النجفي، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، دار واسط، بغداد ١٩٨٢م، ص١٧٢ .

٧ – عبد العزيز علي صويلح، مرجع سبق ذكره، ص٦٨ .

٨ – د. تقي عبد سالم وصالح نعمان عيسى، التجارة الخارجية في العهد البابلي، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٥، ١٩٨٨م، ص٢٤٥ .

٩ – عبد العزيز علي صويلح، المرجع نفسه .

١٠ – مان Mana : وحدة للوزن تعادل ٥٠٥ جرامات من أوزاننا الحالية، وتعادل ٦٠ شيقلاً Gin من أوزان العراق القديم ؛ حسن النجفي، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، ص ١٣١ .

١١ – الإله شمش : هو الإله (أوتو) في السومرية . ومشهد هذا الإله مصور على الأختام الأسطوانية بهيئة رجل تخرج من ظهره أحزمة الأشعة الشمسية، وقد صور على مسلة حمورابي وهو جالس على العرش، ويمسك بيده الصولجان والحلقة وقد لبس تاجاً له أربعة أزواج من القرون

ولحية، وتنبعث الأشعة من كتفيه ؛ د. أحمد سوسة : تاريخ حضارة وادي الرافدين، وزارة الري، بغداد ١٩٨٦م، جـ ٢، ص٣٢١ .

١٢ – د. سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي، جامعة البصرة ١٩٨٥م، ص٢٤٢ – ٢٤٣ ؛ سليمان سعدون البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، الكويت، مطبعة الحكومة، ١٩٧٨م، ص٦٩ – ٧٦ ؛ عبد العزيز علي صويلح، مرجع سبق ذكره، ص٦٩ .

١٣ – **A. Leo Oppenheim, The Seafaring Merchants of Ur, JAOS, Vol. 74, 1954, PP. 10 - 11 ; A. Leo Oppenheim, Letters from Mesopotamia, Chicago 1976, PP. 82 - 83.**

١٤ – الطالين **Talant** : سلسلة من وحدات الوزن التي كانت مستعملة في العراق القديم . استعمل الطالين حتى العهود المتأخرة في سوريا وفلسطين، وكان يساوي ثلاثة آلاف شيقل . وفي اليونان القديمة، استعملت وحدة (الطالين) في أوزان العملة المتداولة التي كان يطلق عليها اسم (الدراخما) **Drachma**، وتعادل ٦٠ حبة Grain من أوزاننا الحالية ؛ حسن النجفي، مرجع سبق ذكره، ص٢٠٢ .

١٥ – د. سامي سعيد الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٣ .

١٦ – الكور Cor : وحدة كيل قديمة، كانت مستعملة في فلسطين ؛ حسن النجفي، مرجع سبق ذكره، ص٤٣ .

١٧ – د. سامي سعيد الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٤ .

١٨ – المرجع نفسه .

١٩ – **Leemans, Foreign Trade, Op. Cit. PP. 36 ff.**

٢٠ – ماري : هي تل الحريري قرب البوكمال الحالية، على الحدود السورية العراقية .

٢١ – د. سامي سعيد الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٥ .

٢٢ – **T.G. Bibby, According to the Standard of Dilmon Kum 1, 1970, PP. 351-352.**

٢٣ – عبد العزيز علي صويلح، مرجع سبق ذكره، ص٦٩ – ٧٠ .

٢٤ – د. سامي سعيد الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٧ .

٢٥ – عبد العزيز علي صويلح، مرجع سبق ذكره، ص٦٨ ؛ وينظر : بيبي، جفري، البحث عن دلمون، سلسلة الجزيرة العربية، ترجمة أحمد عبيدلي، دلمون للنشر، نيقوسيا، قبرص ١٩٨٥ م، ص٢٦١ .

٢٦ – ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد زيدان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٢م، جـ ٢، ص٢٠٢ .

٢٧ – برهان محمد نوري، تجارة العراق الخارجية في العصر البابلي القديم، مجلة النفط والتنمية، العدد ٧و٨ /١٩٨١، ص١٦١ .

٢٨ – المرجع نفسه، ص١٥٩ .

٢٩ – بيير لومبارد وخالد السندي، البحرين : بحران وحضارة واحدة، ضمن كتاب بقايا الفردوس، ترجمة د. محمد الخزاعي، البحرين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص٧-٨ .

٣٠ – برهان محمد نوري، مرجع سبق ذكره، ص١٦٣ .

٣١ – تقي عبد سالم وصلاح نعمان عيسى، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٣ .

٣٢ – بياتريس أندريه – سالفيني، بلاد مشرق الشمس، ضمن كتاب بقايا الفردوس المشار إليه سابقاً، ص٢٤ .

٣٣ – عبد العزيز علي صويلح، مرجع سبق ذكره، ص٧٠ .

٣٤ – المرجع نفسه، ص٧٣ – ٧٤ .

التنافس البريطاني - الفرنسي

يسهم هذا البحث في الكشف عن إحدى حقب تاريخ عمان الحديث، وهو محاولة لدراسة التنافس الدولي على هذا القطر في أكثر من عقدين من الزمن، منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إذ ظهرت الأهمية الاستراتيجية لهذا البلد على نحو خاص من خلال سلسلة النشاطات الاستعمارية التي بذلتها بريطانيا وفرنسا على حـــد سواء لبسط نفوذهما عليه.

وإذا كانت بريطانيا قد انفردت بالسيطرة على الشرق والمحيط الهندي إثر سقوط إيل دي فرانس Ile de France (موريشيوس) آخر المعاقل الفرنسية عام ١٨١٠م[1]، فإنها وجدت نفسها مرة أخرى مقابل فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر.



للسيطرة على عمان ١٨٨٨ – ١٩٠٤م

(دراسة وثائقية)

بقلم رياض جاسم الأسدي



الوثيقة – ٨٥

وقد رأت حكومة السلطنة وبخاصة السلطان فيصل بن تركي (١٨٨٨ – ١٩١٣م) أن بالإمكان استثمار التطورات في العلاقات الدولية لصالحه، والسير بالبلاد في مجال جديد لرسم سياستها الخارجية ، فهل وفقت عمان في مسعاها ؟ وهل استطاع السلطان أن يشتق لها طريقاً خاصاً بعيداً عن الحليف التقليدي بريطانيا؟ في هذا البحث سندرس نمو قوى الاستقلال في عمان تأكيداً على بذور الوعي الوطني لأبناء الأمة العربية .

الأوضاع العامة بعد تولي فيصل بن تركي السلطة في مسقط والمستجدات الدولية

وجد فيصل بن تركي أن سياسة والده تركي بن سعيد (١٨٧١ – ١٨٨٨م) غير مجدية في ضوء التطورات الداخلية في عمان ومستجدات الوضع الدولي، لعودة فرنسا إلى منطقة الخليج العربي وما يمكن أن تشكله من تهديد لمستعمرات بريطانيا في الهند والمحيط الهندي . وكان من الطبيعي أن تكون عمان نقطة تقاطع استراتيجية لكلا القوتين، فأعلنت فرنسا عن نيتها اتخاذ طريق جديد لضرب السيطرة البريطانية في الخليج العربي(٢) . راقب فيصل بن تركي الأوضاع عن كثب بعد تصاعد المعارضة القبلية في الداخل أثناء حياة والده، وازدياد الهيمنة البريطانية على حكومة مسقط ورغبة قبائل الداخل في التخلص من هذا الوضع(٣) . كان فيصل قد اكتسب خبرته الإدارية والسياسية أثناء عمله والياً لميناء صحار الذي يعد واحداً من أهم المعاقل لتثبيت السلطة في مسقط . واستطاع اكتساب مهارة في التعامل مع القبائل القلقة وغير الموالية للسلطة . ونتج عن هذا النجاح النسبي في إدارة شئون القبائل اهتمام والده السلطان به واعتماده عليه؛ على الرغم من أن فيصلاً لم يكن الابن الأكبر لديه

– كما هو مألوف في العادات القبلية في تولي الابن الأكبر المهام بعد والده – وهكذا أصبح فيصل نائبا للسلطان الأب وهو في الرابعة والعشرين من عمره[٤] .

كانت الأوضاع في عمان سيئة على العموم . فالعمانيون يعيشون في قرى صغيرة، غالباً ما يصيبها الجفاف . كما أن الاعتماد الرئيسي في الزراعة يقوم على (الأفلاج) التي هي عبارة عن قنوات داخلية لنقل المياه[٥] ، وقد ولد جفاف بعض الأفلاج صراعات قبلية دائمة . وفي الوقت نفسه فإن صادرات وواردات عمان كانت متذبذبة على نحو واضح، في حين نشطت تجارة السلاح العمانية فتراوحت بين ١٤,٤٠٠ جنيه إسترليني عام ١٨٩٥-١٨٩٦م و ٧٦,٥٠٠ جنيه إسترليني عام ١٨٩٨-١٨٩٩م[٦] . ومن الطبيعي أن تؤدي هذه القفزات في تجارة السلاح إلى إشعال الحروب القبلية على نطاق واسع .

تبين للسلطان فيصل بن تركي الخلل الكبير في سياسة والده إزاء القبائل المعارضة له . وبات من الصعوبة بمكان الاعتماد على دعم حكومة الهند مالياً وعسكرياً في كل المشكلات المعقدة التي كانت تعاني منها عمان، لذلك لجأ السلطان الجديد إلى أسلوب آخر في سياسته الخارجية بسبب سوء السياسة البريطانية تجاه عمان وتفاقم الأوضاع في الداخل، فعمد إلى نقل التعامل السياسي من بريطانيا إلى فرنسا التي أعلنت عن ضرورة أن يكون لها قنصل في مسقط لأن (شرف فرنسا يتطلب أن يكون لها قنصل لتسجيل المواطنين تحت الحماية الفرنسية[٧] . كما وجد فيصل أن مثل هذا الأمر قد يخفف من ضغط القبائل المعارضة التي طالما أعلنت أن الارتماء في أحضان بريطانيا هو خيانة للبلاد .

وأصبحت هذه القبائل مهيأة للثورة ما دام السلاطين تحميهم السفن البريطانية[٨] ولذا وجد فيصل أن الفرصة قد حانت لمهادنة قبائل الداخل من خلال التلويح لها بمعارضة الاستعمار البريطاني من خلال التقرب إلى فرنسا .

لقد صاغ فيصل بن تركي معادلته السياسية في الابتعاد عن بريطانيا والاقتراب من قبائل الداخل ووضع فرنسا في مواجهة للحد من النفوذ البريطاني، لكن ليست على هذا النحو من البساطة ؛ فالعلاقات الدولية أعمق وأعقد من أن يحيط بها عقل فيصل ومعلوماته . ولذلك فإن أول خطوة قام بها فيصل – على نهج الابتعاد عن بريطانيا – هي إقالة الوزير سعيد بن محمد المعروف بولائه للبريطانيين إرضاءً للتيار الأباضي المعارض(٩) . ثم أعقب هذا القرار بعقد صلح مع الشيخ صالح بن علي الحارثي زعيم منطقة الشرقية(١٠) .

حفز الصلح المعقود بين الطرفين السلطان فيصل إلى مد نفوذه إلى الرستاق معقل الاباضية التقليدي حيث يوجد أحد أقطاب المعارضة وهو إبراهيم بن قيس أخو الإمام عزاف بن قيس قائد ثورة ١٨٧١(١١) . وكان إبراهيم قد تحصن في قلعة عوابي التي احتلها منذ ٢ أيلول ١٨٨٨م وراح يدعو إلى الثورة من هناك(١٢)، وأبحر فيصل بن تركي في ١٨ أيلول من العام نفسه، أي بعد ستة عشر يوماً من احتلال الحصن من قبل إبراهيم بن قيس، اصطحب فيصل معه أخاه محمداً وطحنون بن الشيخ زايد حاكم أبوظبي . وقد استخدم في حملته السفينة سلطاني، وبعد وصوله ميناء بركة حشد ٣٠٠٠ من رجال القبائل .

تقدم فيصل بلا مقاومة حاملاً معه ثلاثة مدافع لدك حصن العوابي القوي . وأثناء الزحف البري والبحري طالب رجال القبائل بدفع مرتباتهم . لكن فيصلاً لم يستجب بسبب الوضع المالي الرديء ؛ وعندئذ تمرد عليه حلفاؤه ورفضوا التقدم تجاه إبراهيم بن قيس بلا مقابل فاضطر السلطان إلى الانسحاب ليلاً . وهكذا بقي إبراهيم بعيداً عن المواجهة(١٣) . وبعد فترة قصيرة وصلت إليه تعزيزات عسكرية من الباطنة ففشلت حملة السلطان ضد الرستاق تماماً(١٤) .

أصبح وضع فيصل المالي أشد صعوبة بعد حملة الرستاق . وعلى الرغم من الرغبة في إحراز نصر دعائي وعسكري لتغطية سوء الأوضاع الاقتصادية وإضفاء

الهيبة على الحكم الجديد في مسقط، فإن النتائج جاءت على العكس تماماً، وكشفت بشكل لا يقبل الشك مدى الضعف الذي وصل إليه النظام السياسي في مسقط، وما التدهور المالي إلا جانب من أزمة شاملة . لأن هذا الوضع المزمن عانته عمان منذ أواخر حكم السيد سعيد بن سلطان في (١٨٠٤ — ١٨٥٦م) الحافل بالأحداث والتطورات لأكثر من نصف قرن من حيـاة هذا العاهل الكبير[١٥] . وباتت أملاك دولة عمان وشرق أفريقيا تحت رحمة الأساطيل البريطانية التي فرضت عليه معاهدات تنازل فيها عن جزر كوريا موريا Koria Moria التي تعتبر من المراكز التجارية المهمة للدولة[١٦]، وفي حين مدت فرنسا نفوذها إلى جزيرة جوهانا Johanna وساحل شرق أفريقيا[١٧] وورث فيصل بن تركي كل التبعات التي ترتبت على انهيار دولة عمان وفصل جزيرة زنجبار الجناح الأفريقي الغني عنها، وما رافق ذلك من معارضة قبائل الهناوية بشكل خاص بزعامة عبد العزيز بن سعيد عم السلطان فيصل الذي كان يعارض السلطة في مسقط منذ زمن حكم السلطان تركي بن سعيد[١٨] . ولذا وجد فيصل أن من الضروري العودة إلى لعبة التحالفات القبلية لاحتواء الخطر الذي شكله عمه، فعمد مرة أخرى إلى تقوية تحالفه مع الشيخ صالح بن علي الحارثي في منطقة الشرقية ليؤمن عدم مهاجمة عبد العزيز بن سعيد لمسقط .

كتب عبد العزيز بن سعيد إلى إدوارد تشارلس روس Ross (١٨٧٢ — ١٨٩٢م) المقيم البريطاني في منطقة الخليج العربي[١٩] يسأله عن كيفية اختيار الناس حكامهم في هذه الظروف العصيبة بعد وفاة أخيه السلطان تركي بن سعيد ؟ وحينما لم يجد جواباً عاد للكتابة إليه من جديد، وعندئذ أجابه روس بشكل واضح : "أن هدف بريطانيا هو المساعدة على قيام نظام متوازن Stable Regime في عمان" وهو جواب يعني وقوف بريطانيا ضد أي تغيير في السلطة في مسقط خدمة لصالحها[٢٠] . ورغم أن عبد العزيز بن سعيد شعر بأن البساط قد سحب من تحت قدميه غير أنه لم ييأس من المحاولة .

وفي ظل الأحداث المتلاحقة، ومن أجل ترصين جبهة القبائل بوجه التدخلات البريطانية حاول الشيخ صالح الحارثي عقد صلح بين فيصل وعمه عبد العزيز، لكنه لم يستطع أن يوفق بينهما بسبب خلافهما الشديد حول تولي السلطة في مسقط[٢١] . رد فيصل بن تركي على محاولات عمه للإطاحة به بالطلب من بريطانيا في (الاعتراف بسلطته رسمياً، لكن الأخيرة كانت متريثة كما هي سياستها في التعامل مع الأحداث المتسارعة في هذه الحقبة، وحتى انجلاء كافة المواقف المختلفة[٢٢] . وفي الوقت نفسه لم تكن ثمة معارضة لتولي منصب السلطان من قبل أخيه الأكبر محمد أو باقي أخوته مما أظهر نوعاً من التماسك الأسري . وبعد مناقشات مكثفة جرت في الدوائر الحكومية في الهند ولندن أصدرت بريطانيا اعترافاً رسمياً بفيصل بن تركي سلطاناً لمسقط في ربيع عام ١٨٨٩م بناءً علي توصيات المقيم البريطاني في الخليج وحكومة الهند، غير أنها لم تبلغه رسمياً إلا في نيسان عام ١٨٩٠م بسبب الأوضاع القبلية القلقة التي واجهت فيصل منذ عام ١٨٨٨م .

اتسعت رقعة الجبهة القبلية المناوئة للسلطة في مسقط بانضمام ولدي الإمام عزان بن قيس، حمود وسعود، إلى معسكر المعارضة، وقد تحالف هذان الأخيران مع حمود بن سعيد الجحافي الذي قدم من زنجبار لإعلان الثورة ضد فيصل بن تركي إذ زوده السلطان حمود حاكم جزيرة زنجبار بالمال والسلاح رغبة من الأخير في إحياء دولة عمان وشرق أفريقيا المنهارة[٢٣] .

وبالفعل فقد أعدوا العدة بالاتفاق مع عبد العزيز بن سعيد للهجوم على مسقط، ووصلت الجماعات الثائرة إلى منطقة عبرى غربي مطرح انتظاراً لوصول قوات عبد العزيز . لكن الشيخ صالح الحارثي حليف فيصل استطاع إغلاق الطريق بين محمد ومسقط وحال دون وصول قوات عبد العزيز، في حين أعلن رشيد عبد العزيز حاكم منطقة سمائل ولاءه للسلطان مما أحكم في سد المنافذ

المؤدية إلى مسقط. وهكذا نجد أن الشيخ الحارثي حليف لا يمكن الاستغناء عنه في مثل هذه الظروف[٢٤].

لم يتبق أمام عبد العزيز بن سعيد إلا اختياران: إما الدخول في معركة غير متكافئة مع السلطان فيصل أو القبول بالمنفى والرحيل عن عمان كما هو شأن بعض معارضي السلطنة، إلى جانب راتب سنوي يخصصه السلطان[٢٥]، وقد اختار عبد العزيز بن سعيد الخيار الثاني.

يعد خروج عبد العزيز من الساحة السياسية في عمان تطوراً مهماً لصالح السلطان فيصل لما حظي به عم السلطان من اهتمام في الدوائر الحكومية البريطانية، وبخاصة من الكابتن بيرسي كوكس P.Z. Cox المعتمد السياسي في مسقط[*] حتى وصفته مراسلاته مع مرؤوسيه: بأن عبد العزيز بن سعيد هو "الرجل الثاني" في عمان[٢٦]. وفي الواقع فإن عدم رغبة بريطانيا في منح عبد العزيز أي دعم سياسي طوال تاريخه الطويل والحافل بمعارضة سلطة مسقط يعود بالدرجة الأساسية إلى تحالفات الأخير مع قبائل الداخل التي وجدت في القوى الأجنبية على العموم عدواً قائماً ضد مصلحة البلاد.

وهكذا جاء اعتراف بريطانيا بفيصل سلطاناً رسمياً تعزيزاً لسلطته الهشة في مسقط، وللوقوف بوجه قبائل الداخل. كما رتب هذا الاعتراف على السلطان الدخول في معاهدة جديدة مع بريطانيا وهي "معاهدة الصداقة والتجارة والملاحة لعام ١٨٩١م Treaty of Friendship, Commerce and Navigation".

وتعد هذه المعاهدة خطوة سيئة في طبيعة العلاقات القائمة بين عمان وحكومة الهند إذ ألغيت بموجبها المعاهدة المعقودة بين عمان وبريطانيا عام ١٨٣٩م[٢٧]. وعلى الرغم من أن أيتشسون Aitchison وصفها بأنها "أبقت على روح معاهدة ١٨٣٩" إلا أنها في الواقع تختلف تماما عن سابقتها؛ إذ

جاء بروتوكول ٢٠ آذار الملحق بها ترسيخاً لهيمنة بريطانيا على شئون عمان الداخلية والخارجية في آن واحد . فهو لا يقيم أي اعتبار للطرف الآخر ويلزمه دائماً الخضوع إلى مشيئته . وعلى أي حال فإن المعاهدة وقعت يوم ١٩ آذار ١٨٩١م بين فيصل بن تركي سلطان مسقط وإدوارد تشارلس روس المقيم البريطاني في الخليج، وتم التصديق عليها عام ١٨٩٢م . بيد أن البروتوكول الملحق بها في ٢٠ آذار يعد أكثر الجوانب خطورة في سياق المعاهدة، إذ نص بشكل صريح بأن السلطان وورثته "لا يؤجر أو يبيع أو يرهن أو يتصرف بأي شكل من الأشكال في أي أرض من بلاده لأية دولة أجنبية عدا بريطانيا العظمى"[٢٨] . ومن الصعب أن نتصور ثمة مفاوضات قد جرت فعلاً بين السلطان والمقيم البريطاني كما هو سائد في ظروف عقد أي معاهدة بين طرفين، بل يكفي أن نذكر بأن البريطاني توماس Thomas عضو مجلس السلطنة ونائب السلطان فيصل هو نفسه واضع بنودها[٢٩] .

أكدت معاهدة ١٨٩١م النفوذ البريطاني في عمان وأثبتت على نحو واضح إغلاق الأبواب بوجه القوى الأجنبية الأخرى التي تحاول أن تجد لها مجالاً للنفوذ في هذه المنطقة . وعلى الرغم من أن بريطانيا قد ربطت الكيانات في الخليج العربي بمعاهدات قبل ١٨٩١م إلا أن هذه المعاهدة أصبحت الإطار العام لمعظم المعاهدات التي عقدت في حقبة ما قبل الحرب العالمية الأولى . وقد درجت الإدارة البريطانية على تسميتها بـ (الاتفاقات المانعة Exclusive agreements) .

وفي الوقت نفسه جاءت هذه الاتفاقات الاستعمارية تتويجاً لسياسة إدوارد روس في الخليج للحيلولة دون انفلات هذه الأقطار من قبضة بريطانيا . لقد كان منهج روس قائماً على عدم إجراء أي تبديل أو تغيير في السياسة الداخلية أو الخارجية لأقطار الخليج، وإبقاء الحال على ما هو عليه لأطول فترة ممكنة حفاظاً على طرق الملاحة واستمرار التجارة البريطانية . ولهذا فقد أثار وصول

التاجر الفرنسي المغامر شابوي Chapoy حفيظة روس وبخاصة بعد أن علم بضلوعه في عمليات تجارة السلاح في ساحل عمان (Trucial Coast) ساحل المقاومة العربية البحرية[٣٠] .

وجدت فرنسا في البداية : أن تولي فيصل بن تركي السلطة في مسقط واعتراف بريطانيا به هي (فرصة استغلتها حكومة الهند للتمركز بالبلاد والتدخل في شئونها)[٣١] ، وأن هذا الوضع سيؤثر حتماً على خططها الاستعمارية الجديدة في المنطقة، وخاصة بعد الجهود المتواصلة التي بذلتها في استعمار مدغشقر والصومال الفرنسي ووسط الحبشة وصولاً إلى الهند الصينية في بحر عقد من الزمن ١٨٨٥ – ١٨٩٥م[٣٢] . وفي الوقت نفسه كان جوليوس فري Jules Ferry المسئول عن شئون المستعمرات الفرنسية قد حاول إنشاء خط ملاحي بحري بين فرنسا والخليج العـربي بتمويل من الحكومـة الفرنسية[٣٣] ، كما أبدى ديلونكيل، أحد زعماء الجماعة الاستعمارية Colonial Party[٣٤] في الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٨٩٢م، أبدى اهتمامه بضرورة أن يكون لفرنسا دور في الخليج العربي بشكل واسع وبخاصة في مسقط . كما دعا إلى أن يكون للحلف الفرنسي – الروسي أثره في شئون الخليج[٣٥] ، وأن يقف بوجه السياسة البريطانية بشكل يحول دون استمرار هيمنتها في هـــذه المنطقـة الحيوية لفرنسا[٣٦] .

أثمرت التطلعات الفرنسية إلى عمان في إرسال بول أوتافي Paul Ottavi إلى مسقط حيث وصلها في ٨ تشرين الثاني ١٨٩٤م [٠٠] . وقد استقبله السلطان فيصل باهتمام بسبب منح الحماية الفرنسية لبعض السفن العمانية، وكذلك للنشاط الدبلوماسي الذي بذلته فرنسا بشأن تأجير ميناء بندر جصة الذي يبعد خمسة أميال فقط عن جنوب مسقط ليكون محطة للفحم Coaling station لتزويد السفن الفرنسية .

حذر المسئولون البريطانيون في المنطقة من هذه المحاولات فأرسلوا البرقيات إلى حكومة الهند بهذا الخصوص مؤكدين ظهور سفن حربية فرنسية في الموانئ العمانية ولم تكن هذه التطورات مفاجئة للدوائر البريطانية[٣٧]، إذ رافق هذه الأحداث تسرب أنباء عن وجود اتفاق سري بين فيصل وأوتافي للتعاون فيما بينهما[٣٨]، كذلك إنشاء خط تجاري بحري فرنسي يمر بمسقط[٣٩].

اهتبلت الجماعات التبشيرية في شرق أفريقيا[٤٠] هذه الفرصة للتدخل في شئون عمان ولنقل نشاطها إلى مسقط . وكان لخشيتهما على مصالحهما السياسية والاقتصادية، وما يمكن أن يؤدي التبني المباشر من مواجهات لا تحمد عقباها . فقد اضطلع الأمريكان بهذه المهمة فكان المبشر صامويل زويمر Samuel Zwemer على اتصال دائم بالمعتمد البريطاني في مسقط، بل تحت حمايته الخاصة[٤١] كما زار المبشر الأمريكي جيمس كانتين James Cantin[٤٢] مسقط عام ١٨٩٠م لتكون مركزاً للتبشير إلى جانب البصرة والبحرين، وباستخدام الطب وسيلة دعائية[٤٣].

لقد طغى النشاط الدبلوماسي في هذه الحقبة على كل الأنشطة الأخرى واستطاع أوتافي إقناع السلطان فيصل بأهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه فرنسا في عمان وسياستها الخارجية على وجه التحديد ونصحه بتعيين الشيخ عبد العزيز بن محمد الرواحي سكرتيراً خاصاً ومترجماً للسلطان . وكان الأخير من أشد الموالين لفرنسا، وسبق له أن عمل مستشاراً لدى حامد بن ثويني سلطان زنجبار (١٨٩٣ – ١٨٩٦) لكن بريطانيا عملت على طرده من الجزيرة عام ١٨٩٣م بسبب نشاطاته المعادية لها وميله إلى فرنسا، فجاء إلى مسقط ليعمل بصفة منشي Munashi (كاتب) . بيد أن الرواحي لم يلبث أن تفوق في تأثيره على السلطان من وزيره سعيد بن محمد الموالي للبريطانيين . وأوحى الرواحي

إلى السلطان بإمكانية انتهاج سياسة جديدة بالتعاون مع نائب القنصل الفرنسي أوتافي بإزاء الهيمنة البريطانية . وقد عبر السلطان عن ذلك في رده على طبيعة الاتجاه الجديد للسياسة العمانية في قوله للكابتن كوكس : "إن الحكومة الفرنسية مساوية تماماً في الحقوق للحكومة البريطانية في عمان" مما أثار، وعلى نحو حاد،الدوائر الحكومية في الهند بشكل لم يسبق له مثيل!(٤٤) .

وبذلك يكون التنافس البريطاني — الفرنسي على عمان قد دخل مرحلة مختلفة .

موقف بريطانيا من انتفاضة القبائل عام ١٨٩٥م

بات من الصعب على حكومة مسقط السيطرة على تدهور الأوضاع العامة في عمان وبخاصة بعد الانتشار الواسع لتجارة السلاح في مسقط التي تعتبر من أكبر أسواق الشرق الأوسط في الاستيراد والتصدير(٤٥) . كما تدهورت العلاقات بين السلطان والميجور هيز سادلر Hayes Sadler المعتمد البريطاني في مسقط بسبب تقرب فرنسا من السلطان فيصل، فضلاً عن أن الكولونيل ولسون Wilson بصفته المقيم البريطاني في الخليج العربي لم يبذل جهداً في تلافي التدهور، وبقي يراقب التحركات في مسقط عن بعد على الرغم من الدعوة التي تلقاها من السلطان حول خطورة الأوضاع الداخلية في عمان، والتقارير الخاصة بحركة القبائل التي أبلغها سادلر إليه(٤٦) . ويمكن تفسير هذا الموقف بسبب ميل السلطان إلى الفرنسيين ومحاولته انتهاج سياسة خارجية جديدة .

إن رغبة السلطان فيصل بن تركي في التغيير لم تكن مقصورة على السياسة الخارجية وحدها، بل شملت سياسته الداخلية أيضاً . ولذلك حاول أن يغير من تحالفاته القبلية وبخاصة مع الشيخ صالح بن علي نفسه(٤٧) . وقام بفرض

رسوم جديدة على البضائع المستوردة إلى عمان عن طريق مسقط حيث تظاهرت قبائل الداخل ضد هذه الإجراءات وبخاصة جماعات المطوعة[٤٨]، التي كانت تؤيد الإمامة بشكل صريح[٤٩] . واتسعت جبهة المعارضة للسلطان بعد سلسلة من الاتصالات التي أجراها الشيخ صالح الحارثي ونجله الأكبر عبد الله مع مختلف قبائل الهناوية من الحرث والحبوس وبني رواحة وبني بطاش والعوامر وأخيراً أمر الحارثي بإغلاق طريق سمائل المؤدي إلى مسقط في كانون الأول عام ١٨٩٤م فارضاً شبه حصار على السلطان فيصل[٥٠] . وفي الوقت نفسه أرسل ولده عبد الله إلى الرستاق، إحدى أهم المراكز السياسية للإمامة في عمان، ولغرض التحالف مع سعود بن عزان بن قيس[٥١] .

تلقى التحالف القبلي العريض دعماً مالياً وعسكرياً مباشراً من سلطان زنجبار حمود بن ثويني (١٨٩٣ – ١٨٩٦م) الذي نشأ في عمان وبقيت تراوده فكرة عودة دولة عمان البحرية[٥٢] . وبعد زيارة وفد قبلي من عمان عادوا محملين بالهدايا مع ثلاثة مدافع وثلاثمائة برميل بارود[٥٣] . بيد أن البريطانيين حذروا السلطان من مغبة تدخله في شئون عمان .

واستطاع عبد الله بن الشيخ صالح اجتياح ضواحي مسقط بسهولة، بسبب التحصينات الرديئة للممرات المؤدية إليها، وبخاصة عبر وادي سمائل مما سهل الانقضاض على العاصمة . وعلى الرغم من اقتراح السلطان إجراء مفاوضات مع الشيخ الحارثي لتلافي الموقف، وقبول الأخير بها، إلا أن هذه المبادرة لم تمنع الثوار من التوغل في المدينة حتى حوصر السلطان في قصره[٥٤] . وفي ١٣ آذار وصلت السفينة الفرنسية ترود Troude من أبوك واستلمت أوامر للإبحار نحو مسقط[٥٥] . وقد طمأن أوتافي السلطان بقرب وصول المساعدة العسكرية . وبدأ نشاطاً فعالاً في إظهار نيات فرنسا الحسنة تجاه الحكم في مسقط[٥٦] . لكن السلطان، وبعد أن يئس من المساعدة الفرنسية، طلب مساعدة البريطانيين بعد أن وصل الثوار إلى قلعة الجلالي مقر السلطان الرئيسي،

وعندها خرج سادلر عن موقف المتفرج من الأحداث ليذكر السلطان بدور بريطانيا التقليدي في عمان، فقام بتحذير رؤساء القبائل الثائرة من نتائج أعمالهم[٥٧] . وفي الواقع أن السلطان لم يستفد كثيراً من هذا التحذير وتوجب عليه اللجوء إلى القبائل الغافرية، الجناح المناوئ للقبائل الهناوية التي يرأسها الشيخ صالح بن علي الحارثي وإبراهيم بن قيس وعدد من الزعامات المحلية . استجابت القبائل الغافرية لنداء السلطان وباشرت بالزحف على مسقط وقدر عددها بـ ٤٠٠٠ رجل[٥٨] . وعندئذ انسحبت قوات عبد الله بن الشيخ صالح بشكل غير منظم بعد أن دمرت البيوت وسلبت المحلات وحمل الثوار كل ما أمكن حمله فكانت حصيلة المعركة ٤٠ قتيلاً من رجال السلطان و٦٠ جريحاً، و٨٠ قتيلاً من الثوار و٨٠ جريحاً[٥٩] .

اعتقد فيصل بأن البريطانيين قد خذلوه في صراعه مع القبائل الهناوية، وبخاصة بعد أن فرضت عليه حكومة الهند تعويضات مالية للتجار الهنود الذين تعرضت مصالحهم للضرر أثناء الانتفاضة المسلحة[٦٠] . وفي الواقع فإن سياسة بريطانيا تجاه الأحداث في عمان اتسمت بالسلبية إلى حد بعيد ونتج عن تلك الإخفاقات ضعف عام في إدارة شئون الخليج العربي في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، وتعود أسباب ذلك في تقديرنا إلى اعتماد المسئولين في الإدارة البريطانية في هذه الحقبة على الولاءات الشخصية والمصالح الضيقة مع غياب شبه تام للمنهج السياسي الواضح، فضلاً عن ذلك سوء التقدير لحركة قبائل الداخل واعتبارها مجرد عصيان على السلطة، في حين أثبتت الأحداث أن التحركات هي نواة لظهور حركة تحرر وطني شاملة .

ظهر تخبط الإدارة البريطانية تجاه عمان في سرعة تغيير المعتمدين السياسيين في مسقط، إذ نلاحظ قيام خمسة معتمدين من ١٨٩٢ – ١٨٩٩م، بل إن أحدهم وهو وايت Whyte لم يستمر إلا بضعة شهور في منصبه[٦١] . في وقت كان الدكتور جياكر Jayaker غالباً ما ينوب عن المعتمد[٦٢] . وكانت

التقارير التي ترفع عن السلطان فيصل في غاية السوء إذ تصفه بالضعف والعجز ومحدودية سلطته واقتصارها على ميناء مسقط، وفي الوقت نفسه تصف قبائل الداخل بالقوة وإمكانية تهديد مسقط في أي وقت، وأن السلطان لا يستطيع البقاء في الحكم ما لم يقدم المال لها(٦٣) . وقد أوجدت هذه الحالة جواً من سوء الفهم لدى الإدارة البريطانية . لكنها على العموم كانت ترى في انتفاضة القبائل تهديداً حقيقياً لمصالحها في عمان، وأن تغييراً ما يجب أن يطرأ على العلاقات البريطانية العمانية فعلياً . وقد بدأ هذا التغيير عملياً حينما سمحت للقبائل الغافرية الموالية للسلطان بالاستحواذ على ٣٠٠ كيس من الأرز تابعة إلى التجار الهنود، في وقت كانت المجاعة تخيم على مسقط(٦٤) . كما قام الدكتور جياكر برحلة للاتصال بسعود بن عزان مروراً بمطرح لما عرف عنه من صلات واسعة ولغرض تهدئة الأوضاع بعد أحداث الانتفاضة(٦٥) . ثم تجلى تغير موقف بريطانيا من السلطان في بداية عام ١٨٩٦م حينما سعى البريطانيون إلى تقديم أسلحة ومساعدات مالية أثناء عصيان للقبائل في ظفار معلنين رغبتهم في تجديد استمرار الحماية البريطانية للحكم في مسقط(٦٦) .

وعلى الرغم من المبادرات البريطانية تلك، إلا أن السلطان فيصل عدها غير كافية لكبح جماح القبائل الثائرة إذا ما قورنت بموقف بريطانيا تجاه والده السلطان تركي بن سعيد(٦٧) . وحاول بعض الكتاب تفسير الأزمة بين فيصل وبريطانيا بأنها تعود إلى تصرفات جيل ما بعد إدوارد روس من المسئولين البريطانيين من رجال حكومة الهند في الخليج الذين اتسمت أعمالهم بالبطش والغباء وسوء الفهم !(٦٨)، أو إلى سوء تقدير فيصل لإمكاناته العسكرية والمالية . والواقع أن الأزمة ليست في الإدارة البريطانية، بل في تنامي الرغبة للاستقلال الوطني لدى عموم الشعب في عمان . ويمكننا أن نلمس هذا الاتجاه أيضاً في مراسلات المعتمدين البريطانيين، فعلى سبيل المثال : تساءل سادلر عما يمكن أن تمنحه الحماية البريطانية لعمان في حين يقف الشعب ضدها(٦٩) ؟!

استغل أوتافي الأزمة القائمة بين السلطان وحكومة الهند وكرس نفوذ فرنسا لدى حكومة مسقط فزاد من لقاءاته مع السلطان ليؤكد له "حريته الكاملة في تقرير سياسة بلاده الخارجية ومسئوليته الكاملة تجاه شئون عمان الداخلية"[٧٠] . لكن بريطانيا قطعت عليه الطريق من خلال الإنذار الرسمي[٧١] الذي وجهته إلى القبائل الهناوية الثائرة . لكن هذه الخطوات بقيت غير فعالة من وجهة نظر فيصل بن تركي الذي راح يسير قدماً باتجاه انتهاج سياسة جديدة، في حين استمر التخبط في السياسة البريطانية تجاه مسقط ؛ ولا أدل على ذلك من سلسلة الأخطاء التي قام بها المعتمد السياسي فيجان Fagan ١٨٩٧ – ١٨٩٩م حيال السلطان شخصياً . وما نتج عن ذلك من تسارع في بناء العلائق بين السلطان وفرنسا[٧٢] . وبالفعل فقد وصلت السفينة الفرنسية ترود إلى مسقط بناءً على طلب أوتافي السابق[٧٣] الذي أصبح نداً حقيقياً للبريطانيين في عمان[٧٤] .

مظاهر النفوذ الفرنسي في عمان

أخذ الصراع البريطاني الفرنسي مظاهر مختلفة سواء على المستوى المحلي أو الدولي، برزت من خلاله نقاط تقاطع ساخنة لا تقل أهمية عن أزمة فاشودة[٧٥] . وانعكست آثاره على عمان والأقطار المحيطة بها . كما استقطب قوىً دولية أخرى مثل ألمانيا وروسيا . ففي عام ١٨٩٤م زارت السفينة الألمانية كورموران Cormoran ميناء مسقط، كما أنشئت قنصلية ألمانية في بوشهر عام ١٨٩٧م وعين الطبيب رينهارت Reinhardt نائب قنصل[٧٦] . وفي عام ١٩٠٠ م زارت السفينة جلياك Giliak الروسية ميناء بندر عباس، كما ظهرت السفينة فارياج في مسقط عام ١٩٠١م، حيث سببت هذه الزيارات قلقاً لدى

السلطات البريطانية في الخليج العربي(٧٧) . وأنشئت في هذه الحقبة شركة خاصة تقوم بخدمات الملاحة بين أوديسا Odissa والخليج العربي .

كما حاولت روسيا إقامة قنصلية لها في مسقط(٧٨) . وإذا كانت روسيا أضعف من أن تواجه بريطانيا في منطقة الخليج العربي، فإن ألمانيا استمرت في جهودها الحثيثة في مواجهة بريطانيا في استراتيجية واضحة المعالم تدعى خطة زمرمان Zimmerman لضرب المصالح البريطانية في الهند عبر الخليج العربي(٧٩) . وعلى العموم فقد اتخذ النفوذ الفرنسي في مواجهة السيطرة البريطانية على عمان مظاهر معينة :

١ - مشكلة الأعلام الفرنسية :

وتعود جذورها إلى عام ١٨٦١م حين قامت فرنسا بمنح علمها إلى بعض السفن العمانية للحيلولة دون تفتيشها من قبل السفن البريطانية الباحثة عن الرقيق(٨٠) . وعلى الرغم من احتجاجات بريطانيا على هذه الترخيصات مراراً إلا أن فرنسا زادت من منح الأعلام وخاصة إلى سفن ميناء صور(٨١) . وفي بداية تسعينات القرن التاسع عشر أضحت هذه المشكلة خطيرة بسبب قيام السفن العمانية بممارسة تجارة الأسلحة .

وحينما ازداد عدد السفن المسقطية التي تحمل العلم الفرنسي، وقيام السلطان فيصل بتشجيع هذه الظاهرة بنفسه تقرباً لفرنسا، أصبحت بريطانيا في موقف حرج، لأن هذه السفن اكتسبت وضعاً شرعياً de jure من الناحية الدولية(٨٢) . لكنها لم تقف مكتوفة الأيدي إزاء التحديات الجديدة، إذ بدأت بتعزيز وجودها في مشيخات ساحل عمان والبحرين، كما استولت على جزيرة قشم التي تسيطر على مدخل الخليج العربي . ولعل أفضل رد فعل بريطاني على فرنسا هو موقف كيرزن نائب الملك قي الهند ١٨٩٩-١٩٠٥م : "سنعرض

الحماية البريطانية على مسقط وسنقول لفرنسا اذهبي أينما شئت !" ومع ذلك فإن بريطانيا لم تشأ أن تصعّد من الموقف أكثر مما يجب ولجأت إلى نهج المفاوضات طويلة الأمد[٨٣] طالبة من السلطان فيصل منع السفن العمانية من التعامل مع فرنسا والكف عن رفع أعلامها، ولكن فيصلاً لم يستجب وتابع السير في سياسته الرامية إلى التقرب من فرنسا يوماً بعد يوم[٨٤] . ولم تلبث فرنسا أن لجأت إلى أسلوب آخر في توكيد نفوذها في عمان حيث بدأت بمنح الجنسية الفرنسية لبعض تجار ميناء صور فضلاً عن الأعلام والترخيصات . ومن الغريب أن يكون السلطان فيصل بن تركي ممن يباركون هذه السياسة . ناهيك عما أثارته من مخاوف في الدوائر الحكومية البريطانية[٨٥] لكونها — وعلى المدى البعيد — ستكون طبقة من التجار المحميين من فرنسا مقابل (البانيان والخوجا)[٨٦] الذين تحميهم بريطانيا . ويمكن تفسير موقف السلطان بعدم اكتراثه للنتائج التي يمكن أن تؤول من جراء التقرب من الفرنسيين . استند السلطان فيصل بن تركي في تأجير ميناء جصة إلى فرنسا إلى معاهدة عام ١٨٤٤م المعقودة بين فرنسا وعمان، وكذلك إلى الإعلان البريطاني — الفرنسي لعام ١٨٨٢م[٨٧] . ونشرت صحيفة جورنال دي ديبيت Journal de Debates خبر موافقة السلطان فيصل على تأجير ميناء جصة مستودعاً للوقود . وأعقب ذلك وصول السفينة الحربية الفرنسية سكوربيون Scorpion إلى مسقط وصور لتسهم في إخماد تمرد للقبائل في ميناء صور، تماماً كما كانت تفعل السفن البريطانية إبان حكم تركي بن سعيد .

أصبح حادث صور مدار بحث بين دلكاس Delcasse وزير خارجية فرنسا وإدموند مونسون E. Monson سفير بريطانيا في باريس لما أثاره ذلك من ردود فعل سلبية لدى لندن وحكومة الهند[٨٨] .

وهكذا تحركت هذه السلطات بسرعة لتسوية خلافاتها مع سلطان مسقط إذ وصل ميد M. J. Mead المقيم البريطاني في الخليج (١٨٩٧ — ١٩٠٠م)

إلى مسقط للتباحث مع السلطان شخصياً في محاولة للحد من ميله إلى فرنسا[٨٩] . وقد استغل فرصة تغيب أوتافي عن مسقط في زيارة لميناء جصة حيث استقبله الشيخ الحاكم فيه بحفاوة بالغة[٩٠] . لكن مساعي ميد باءت بالفشل وبات من الممكن الآن انتشارٍ ما يسمى بـ "أزمة مسقط" بين فرنسا وبريطانيا ومشكلة تخزين الفحم وقوداً للسفن الفرنسية في هذا الميناء القابع في أقصى المناطق مجهولية في الشرق[٩١] .

كتب ميد إلى حكومة كلكتا مشدداً على نقض السلطان فيصل لمعاهدة ١٨٩١م والبروتوكول الملحق بها في ٢٠ آذار وحث اللورد كيرزن لاتخاذ إجراءات مناسبة إزاء هذه التطورات لضمان مصالح بريطانيا في عمان[٩٢] وليس أدل على قوة نفوذ فرنسا في هذه الحقبة من أن السلطان فيصل قد أطلع بنفسه أوتافي على مضمون رسالتين بعث بهما المعتمد البريطاني في مسقط يستوضح فيهما حقيقة السماح لفرنسا بتأجير مستودعٍ للوقود في ميناء جصة، وجواب السلطان الواضح في هذا المجال بأنه سمح فعلاً بإنشاء مخزن للوقود في آذار عام ١٨٩٨م أثناء زيارة السفينة سكوربيون إلى مسقط وهو شأن خاص[٩٣] .

قلق اللورد كيرزن من تضاؤل الهيبة البريطانية في الخليج العربي أمام التحديات الفرنسية الجديدة، وأوعز هذا التدهور بطبيعة الحال إلى سوء إدارة المسئولين البريطانيين في الخليج العربي وإلى ضرورة وقوف بريطانيا ضد القوى الأوروبية التي تحاول السيطرة على موانئ الخليج العربي من خلال إيجاد "حقوق شرعية Jurisdication" في داخلها ؛ في حين كانت روسيا تسعى للوصول إلى مياه الخليج العربي ووسط آسيا من خلال السيطرة على شمال فارس[٩٤] .

اختار كيرزن الكابتن برسي كوكس لمنصب المعتمد السياسي في مسقط، وهو شاب في الرابعة والثلاثين من عمره وقد امتلأ حماسة لتغيير الأوضاع لصالح

بريطانيا، بعد وصوله مسقط اجتمع بالسلطان فيصل ووضح له طبيعة العلاقات التي تربط عمان ببريطانيا كما حذره من تجاهل قوتها البحرية في الخليج[٩٥] واعتماداً على أسلوب (الترهيب) أجبر السلطان على إقالة سكرتيره الخاص وترجمانه الشيخ عبد العزيز بن محمد الرواحي، ومنعه من دخول القصر السلطاني . وحينما أخبر أوتافي بهذه الإجراءات المفاجئة التي (تمس هيبة فرنسا في منطقة الخليج)[٩٦] لم يستطع أن يفعل شيئاً مهماً إزاءها ؛ وبخاصة بعد توجه الكولونيل ميد حاملاً معه مذكرة رسمية صادرة من حكومة الهند وتهديده باستخدام القوة، وتضمنت المذكرة ما يلي :

١ – عزل الشيخ عبد العزيز الرواحي عن منصبه .

٢ – دفع تعويضات إلى رعايا بريطانيا عن الأضرار التي لحقت بهم أثناء أحداث ١٨٩٥م .

٣ – إلغاء الضرائب الإضافية على الواردات إلى مسقط والعودة إلى النسبة السابقة ٣ ٪[٩٧] .

٤ – إبطال عقد إيجار بندر جصة إلى فرنسا[٩٨] .

كان ميد يفاوض السلطان من على ظهر السفينة الحربية إيكلبس Eclips التي يقودها الأدميرال دوجلاس Doglas قائد البحرية للهند الشرقية، وبأمر من اللورد كرزن نفسه، أصدر دوجلاس أمراً إلى السلطان بضرورة حضوره إلى ظهر السفينة خلال يومين، وإن لم يفعل ذلك سوف يكون مضطراً إلى قصف القصر السلطاني بمدافع السفينة . وتحت وطأة التهديد حضر السلطان إلى السفينة[٩٩] وأجبر على التوقيع على المذكرة علنياً[١٠٠] .

الضغوط البريطانية لم تضع حداً للنفوذ الفرنسي وبقي الصراع دائراً بين القوتين، إذ دعمت فرنسا أوتافي فجعلته قنصلاً عام ١٩٠٠م وزادت من

مراقبة تجارة السلاح(١١٢) فقد أعاد وزيره المقال سعيد بن محمد، حليف الإنجليز إلى منصبه(١١٣).

لقد تعرضت عمان في هذه الحقبة إلى كوارث الجفاف والهيضة التي نشرت البؤس في مختلف المدن، حتى اضطر السلطان إلى شراء الأرز لعائلته وخدمه من خارج البلاد بسبب الجوع الذي أصاب العمانيين(١١٤). وفي ظل هذه الظروف ارتفعت ديون السلطان لصالح بيوتات برشوتم المالية وشركائهم من التجار الهنود فبلغت ديونه ١٩٠,٠٠٠ ريال(١١٥). وعندئذ وافق لبريطانيا على حق التنقيب عن الفحم في ميناء صور، ولم تجد المحاولات الفرنسية في عرقلة هذا المشروع(١١٦)، على الرغم من سريان الشائعات داخل عمان: "أن السلطان فيصل بن تركي بدأ يبيع مدينة صور للإنجليز(١١٧). وعمل أوتافي على تحريض القبائل الهناوية في صور ضد بريطانيا، إلا أن برسي كوكس استطاع الوصول إلى الرفصة، المنطقة التي يقع فيها الفحم بصحبة أحد المنقبين الجيولوجيين في حين تحرك عيسى بن صالح الحارثي من الشرقية ورابط في مركز المشارقة لمراقبة الموقف ميدانيا". ويبدو أن كوكس حاول عقد اجتماع مع عيسى الحارثي، لكن الأخير رفض مقابلته(١١٨). وأخيراً وافق السلطان فيصل على عدم السماح لأي حكومة أو شركة بالتنقيب عن الفحم ما لم يحصل على إذن مسبق من الحكومة البريطانية(١١٩). وبعد قيام اللورد كرزن بزيارته عام ١٩٠٣م للخليج العربي، عقد السلطان مؤتمر (دربار) على ظهر السفينة هاردنج Harding التابعة للأسطول الهندي حيث قدم كرزن للسلطان فيصل وسام الصليب الأكبر Grand Cross تقديراً لخدماته للاستعمار البريطاني ودعوته إلى السير في ركابه(١٢٠) في حين خسرت السلطنة من سطوتها على الساحل الممتد من خور كلبا إلى دبا بعد أن قررت بريطانيا اقتطاع هذه المنطقة إلى شيخ الشارقة(١٢١). وجاء "الاتفاق الودي" الذي عقد بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩٠٤م لكي يضع كلا الدولتين على مشارف مرحلة جديدة للوقوف بوجه تنامي القوة الألمانية وظهور استراتيجية مقابلة وضعت مستعمرة الهند في

حسبانها من خلال ما يسمى بمشروع زمرمان الاستراتيجي الألماني المعروف، وعندئذ دخلت المنطقة في أعتاب مرحلة من التنافس الدولي للسيطرة عليها من جديد[١٢٢] .

الخاتمة

إن سياسة الاستقلال التي حاول السلطان فيصل بن تركي انتهاجها في هذه الحقبة من تاريخ عمان الحديث، ووقوفه بوجه السيطرة البريطانية، هي دليل واضح على رغبة هذا القطر في الاستقلال والتخلص من بريطانيا وسياستها الاستعمارية في المنطقة . وعلى الرغم من النتائج السلبية التي ترتبت على هذا الاتجاه، إلا أن عمان استطاعت أن تتلمس طريقها الوطني في بداية القرن العشرين .

أوضحت الأحداث المتشابكة أن الاستقلال الحقيقي لا يكون إلا من وحدة وطنية شاملة ورصينة، ولذا فإن هذا الهدف النبيل لم يتحقق في هذه المرحلة بسبب غياب الوحدة لدى قبائل الداخل، وانشغال العمانيين بصراعاتهم الثانوية التي لم تثمر عن مواقف سياسية ثابتة . إن تعارض المصالح القبلية، واعتماد حكومة مسقط على القوى الأجنبية ألحق بالبلاد ضرراً بالغا، وبالتالي جعل منها أسيرة السيطرة البريطانية لعدة عقود .

رياض جاسم الأسدي

جامعة البصرة

الهوامش

١ – لمزيد من التفصيل حول الصراع البريطاني الفرنسي في الخليج العربي، أنظر : صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي (١٧٩٨–١٨١٠م)، بغداد ١٩٧٩ م، ص٢٨٢–٢٨٨ .

٢ – Khalid Al-Wasmi, Oman Eratre L`independance et L`Ocupation Colonial, (Paris, 1985) p. 176.

٣ – عن الدور السياسي للسلطان تركي بن سعيد، أنظر : رياض جاسم محمد الأسدي، تطورات عمان الداخلية وعلاقاتها الخارجية (١٨٥٦–١٨٨٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة (بغداد. ١٩٨٨م)، ص١٠٨–١٤٢ .

٤ – W. Philhps, Oman a history (London, 1970) P. 148.

٥ – M. Graeme Bannerman, Unity and Disunity in Oman 1805-1920. A thesis of P.H. D (University of Wisconsin Madison,1976) PP. 10-11.

٦ – Briton Cooper Bush, Britain and the Gulf 1891-1914 (University of California Press, 1967) PP. 392, 393, 394.

٧ – مقتبس من : Al Wasmi, Op. Cit. P. 176.

٨ – المركز الوطني لحفظ الوثائق، صورة من مذكرة الأمانة العامة بجامعة الدول العربية في تشرين الثاني ١٩٥٤ حول إمامة عمان، تسلسل ١٩٨، عدد ٦٨، ص ١ .

٩ – J.E. Peterson, Oman in Twentieth Century (London. 1978) P. 29.

للتفاصيل في الإمامة الأباضية أنظر : سرحان بن سعيد الأزكوي العماني، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، حققه ونشره عبد المجيد القيسي (دار الدراسات الخليجية، ١٩٧٦م) ص ص ٤٠–٥٥ .

١٠ – عن الدور السياسي للشيخ الحارثي، أنظر : الأسدي ؛ المصدر السابق، ص ص ١٢٨–١٣٢ .

١١ – للتفاصيل عن ثورة ١٨٧١، Bannerman, op.cit. PP. 75-80

١٢ - C.U. Aichison, a collection of treaties , Engagements and sanads relating to India and neighbouring Countries (Delhi, 1933) Vol. XI, P. 278 Part I. P. 526.

١٣ - J.G. Lorimer, Gazetter of the Gulf, Oman and Central Arabia (Calcutta, 1915) Vol. I, Part I, P. 526.

١٤ - نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، طبعه وصححه أبو إسحاق إبراهيمي أطفلش الجزائري، جـ ٢، ص٢٨٠ .

١٥ - عن حياة وأعمال سعيد بن سلطان، أنظر : رودلف سعيد روت، سلطنة عمان خلال حكم سيد سعيد بن سلطان (١٧٩١-١٨٥٦م) ترجمة عبد المجيد حسب القيسي، (جامعة البصرة، ١٩٨٣م) .

١٦ - Aichison, op. cit. Vol. II P. 305.

١٧ - سمير محمد علي أبو ياسين، العلاقات العمانية البريطانية، (١٧٩٨-١٨٥٦) جامعة البصرة، ١٩٨١م، ص١٨٩ .

١٨ - السالمي، المصدر السابق، ص٨١١ .

١٩ - خلف روس لويس بلبي في الإدارة البريطانية للخليج العربي ، وقد استطاع أثناء فترة خدمته الطويلة أن يكرس النفوذ البريطاني في هذه المنطقة، وكانت سياسته تقوم على الحكم غير المباشر وما يسمى بمبدأ "عدم التدخل" ، للتفاصيل : روبرت جيران لاندن، عمان منذ ١٨٥٦م مصيراً ومسيرا، ترجمة محمد أمين عبد الله (عمان، ١٩٧٠) ص ص ١٨٧-٢١٠ .

٢٠ - R. Komar, India and the Gulf Region (1858-1907) (India, 1965) P. 72.

٢١ - السالمي، المصدر السابق، ص٨١٢ .

٢٢ - Aichison, op. cit., P. 38.

٢٣ - G.N. Curzon, Persia and Persian Question (London, 1966) Vol. II, P. 438 ; Bannerman, op. cit., P. 38

٢٤ - Lorimer, op. cit., P. 528.

٢٥ - Kumar, op. cit., PP. 72-73.

٥ - بيرسي زكريا كوكس(١٨٦٤-١٩٣٧) وهو من أصل يهودي، وأحد أقطاب السياسة البريطانية في الخليج العربي، عمل في الصومال وبربرة ١٨٩٣-١٨٩٤ . نال ثقة اللورد كيرزن نائب الملك

في الهند فعينه معتمداً سياسياً في مسقط ثم مقيماً في الخليج العربي ١٨٩٩- ١٩٠٤م، شارك في الحملة البريطانية على العراق أثناء الحرب العالمية الأولى . للتفاصيل عن حياته وسياسته أنظر
Philyps Graves, The life of Sir Percy Cox (London, 1941) sec. I : mp, PP. 19-55.

٢٦ - P.R.O., F.O : 248/701, from cap. P.Z. Cox to H.S. Barnes Esq., Secretary to the government of India in the Foreign department.

٢٧ - يغلب على معاهدة ١٨٣٩ الطابع التجاري، أنظر نصوصها ؛ Aitchison, op. cit., PP. 292-300.

٢٨ - Ibid, P. 317.

٢٩ - صورة من مذكرة الأمانة العامة، المصدر السابق، ص٣ .

٣٠ - لاندن، المصدر السابق، ص١٩٦ .

٣١ - (ع. ف) عمان وفرنسا، صفحات من التاريخ (مطابع تيب، باريس) مذكرة حول فتح قنصلية فرنسية في مسقط عام ١٨٩٢، ص١٣٨ .

٣٢ - Al-Wasmi, op.cit. P. 177.

٣٣ - لاندن، المصدر السابق، ص٢٢١ ؛ Al-Wasmi, op. cit., P. 178

٣٤ - كان لفرنسا برنامج للتوسع الاستعماري وقد وضع جوليوس فراي مذهب هذه السياسة، وتجلت على نحو متكامل عام ١٨٩٠م في لجنتي أفريقيا الفرنسية وآسيا الفرنسية .

بيير نوفن، تاريخ القرن العشرين، تعريب د. نور الدين حاطوم (لبنان، ١٩٦٩م) ص ص ٢٢-٢٣ .

٣٥ - لمزيد من التفصيل حول الحلف أنظر : Busch, op. cit., P.54

٣٦ - عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وإمارات الساحل العماني - دراسة في العلاقات التعاهدية (بغداد، ١٩٧٨م) ص٣٣٠-٣٣٢ .

٥٥ - ويعد أوتاڤي من أبرز الدبلوماسيين الذين عملوا في الشرق، عمل وكيلاً لفرنسا في زنجبار وقام بنشاط واسع ضد بريطانيا فيها .

٣٧ - Lovat Fraser, India Under Curzon and after (London, 1911) P. 87.

٣٨ - PR. O, F.O : 27/ 3530, Government of India Tel., in Feb. O, 1900.

٣٩ - (ع - ف) رسالة من أوتاڤي إلى وزير الشئون الخارجية في كانون الثاني ١٨٩٥، ص٥٥ .

٤٠ – نتيجة للصراع البريطاني – الفرنسي أنشئت في شرق أفريقيا بعثة فرنسية كاثوليكية Wa Franca Party وأخرى بريطانية إنجليكانية Anglican Party ولمزيد من التفصيل : S.W. Zwemer, Arabia : The Cardle of Islam (New York, 1900). PP. 347-349.

٤١ – Ibd,P. 364.

٤٢ – وهو أحد تلامذة البروفسور لسينج Lissing ومن المهتمين بالتبشير في الجزيرة العربية .

٤٣ – عبد الله ناصر السبيعي، الإرسالية الأمريكية العربية للتبشير في شرق الجزيرة العربية، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الخامسة (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، السعودية) ص١٣٠-١٣٢ .

٤٤ – P.R.O, F.O, 248/701: Letter from Cap. Cox to H.S. Barnes in 15th June 1901, P. 57.

٤٥ – Lorimer, Vol. I, op. cit., P. 303.

٤٦ – Bannerman, op. cit., P. 53.

٤٧ – السالمي، المصدر السابق، ص٢٨٤ .

٤٨ – المطوعة : جماعات قبلية مسلحة تتصف بالعنف والتشدد الديني .

٤٩ – J.B. Killy, Sultanate and Imamate in Oman, Chatham house memoranda (Oxford University, 1959) P. 7.

٥٠ – لاندن، المصدر السابق، ص٣٣٢-٣٣٣ .

٥١ – Bannerman, op. cit., P. 37.

٥٢ – أظهر سلاطين زنجبار وفي هذه الحقبة رغبة في الوحدة مع عمان على أن يكونوا هم الحكام فيها تخلصاً من المعونة المالية التي فرضت إثر الانفصال عام ١٨٦٢ .

٥٣ – Lorimer, op. cit.. P. 537.

٥٤ – لاندن، المصدر السابق، ص٣٣٤-٣٣٣ .

٥٥ – Lorimer, op. cit., P. 542.

٥٦ – Al-Wasmi, op. cit., P. 177.

٥٧ – R.W. Bailey, Records of Oman (Archive Edition, 1988) P. 556.

٥٨ – لاندن، المصدر السابق، ص٣٣٤ .

٥٩ – Bailey, op. cit., P. 669.

٩٥ — شركة الزيت العربية الأمريكية، عمـــان والساحل الجنـــوبي للخليج العـــربي، (القاهرة، ١٩٥٢م).

٩٦ — (ع.ف) رسالة من أوتاني إلى دلكاسا وزير الشئون الخارجية في ١١ آذار ١٨٩٩، ص١٩٧.

٩٧ — فرض السلطان نسبة ٥ ٪ سابقاً.

٩٨ — P.R.O, F.O : 27/ 3530, Government of India, Tel, Feb. 1900, P. 57.

٩٩ — Fraser, op. cit., P. 88.

١٠٠ — P.R.O, F.O: 60 O 642, from Curson to Hamilton a secretary of State of India in 2 March 1899, P. 5.

١٠١ — (ع.ف) رسالتان من قبطان البارجة كيازال إلى وزير البحرية في ١٧ و٢٩ تشرين الثاني ١٩٠٠ م، ص١٨٢.

١٠٢ — عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، ص٣٣٨–٣٣٩.

١٠٣ — جان جاك بيربي، الخليج العربي، تعريب نجدت هاجر وسعيد العز (بيروت، ١٩٥٩) ط ١، ص١٩٩.

١٠٤ — (ع.ف) رسالة من لارونص إلى روفيني وزير الشئون الخارجية في ١٤ كانون الثاني ١٩٠٥م، ص٣٣٣.

١٠٥ — Komar, op. cit., P. 91-2.

١٠٦ — Al-Wasmi, op. cit., P. 178.

١٠٧ — شركة الزيت، ص٦٣.

١٠٨ — السالمي، المصدر السابق، ص٣٠٠ ؛ شركة الزيت، ص٦٤.

١٠٩ — المصدر نفسه، ص٢٩٩.

١١٠ — عن الإمامة في عمان والمعارضة السياسية لنظام السلطنة في القرن العشرين، أنظر : لازم لفتة ذياب، المعارضة السياسية في سلطنة عمان، ١٩٥٥–١٩٧٥م، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة البصرة، ١٩٨٣) ص٣٥–٣٨.

١١١ — Bannerman, op. cit., P. I.

١١٢ — Graves, op. cit., P. 86.

١١٣ — لاندن، المصدر السابق، ص٣٤٠.

١١٤ — (ع.ف) تقرير أعده لارونص قنصل فرنسا في مسقط عام ١٩٠٢م، في شباط ١٩٠٣.

١١٥ – لاندن. المصدر السابق، ص٣٣٧ .

١١٦ – P.R.O, F.O : 248/701, from P.Z. Cox to H.S. Barnes, secretary to the government of India 15 June, 1901, P. 3.

١١٧ – مقتبس من شركة الزيت، ص٧٠ .

١١٨ – Ibid, P. 4.

١١٩ – Scolifield, Arabian Boundaries, op. cit., PP. 115.

١٢٠ – W. Phillips, Oman a history, op. cit., P. 153.

١٢١ – للتفاصيل عن علاقة حكومة مسقط مع شيوخ ساحل عمان أنظر : Bailey, op. cit., P. IX. PP. 2-4, 19.

١٢٢ – للتفاصيل أنظر : لتشوفسكي، المصدر السابق، ص٦٥-٦٦ .

المصادر

١ – وثائق غير منشورة :

F.O. : Foreign office

F.O. : 248/ 701

F.O. : 27/3530

F.O. : 60/ 642

– وثائق دائرة السجلات العامة في لندن – وزارة الخارجية سلسلة غير متصلة في مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي، بغداد .

- L`Omanet La France quelques lements OL` historic

(عمان وفرنسا)

– مراسلات مترجمة للقناصل الفرنسيين في الخليج العربي محفوظة في مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي – بغداد، مطابع تـــب، باريس، بلا تاريخ .

– المركز الوطني لحفظ الوثائق، صورة من مذكرة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، بغداد .

٢ – الرسائل غير المنشورة :

- M. Graeme Bannerman, Unity and Disunity in Oman 1895-1920, Athesis of Ph. D (University of Wisconsin Madison, 1976)

– ذياب، لازم لفتة، المعارضة السياسية في سلطنة عمان ١٩٥٥–١٩٧٥، جامعة البصرة ، ١٩٨٣م .

– الأسدي، رياض جاسم محمد، تطورات عمان الداخلية وعلاقاتها الخارجية ١٨٥٦–١٨٨٨، بغداد، ١٩٨٨ .

٣ – مصادر وثائقية منشورة :

١ – Aichison, C.U, A Collection of Treaties, Engagements and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries, (Delhi,1933) vol. II, IX.

٢ – Bailey, R.W. Records of Oman 1867-1947 (Archive Edition, 1988).

٣ – Hurewitz, J.C , Diplomacy in near and Middle East, a Documentary record 1535-1914 (USA 1956), Vol. II.

٤ – Schofield, Richard and Gerald Black, Arabian Boundaries, Primary Documents 1853-1957 (Archive Edition, 1988), Vol. I.

٤ – المصادر الأجنبية :

٥ – Al Wasmi, Khalid, Oman Entre L'Independence et L'Occupation Colonial (Paris, 1986).

٦ – Busch, Briton Cooper, Britain and the Gulf 1894-1914, (University of California Press, 1967).

٧ – Coupland, Reginald, the Exploitation of East Africa 1856-1890, The Slave Trade and the Scramble (Northwestern University Press, 1967).

٨ – Curzon, G.N., Persia and Persian Question (London, 1966), Vol. II.

٩ – Fraser, Lovat, India under Gurzon and after, (London, 1911).

١٠ – Graves, Phillips, The Life of Sir Percy Cox (London, 1941).

١١ – Kumar, R., India .. and the Gulf region, 1858-1907, (India, 1969).

Lorimer, J.G., Gazetteer of the Gulf, Oman nd the central Arabia, (Calcutta, 1915) Vol. I. — ١٢

Philips, W.. Oman . . a History, (London, 1967). — ١٣

Unknown Oman, (Libanon, 1971). — ١٤

Peterson, J.E., Oman in Twentieth Century, (London, 1978). — ١٥

Thomas, B. Arab Rule Under Al-Busaid Dynasty of Oman, (1741-1937) (London, 1938) ; Zewemer, S.M., Arabia: The Cardel of Islam, (New York, 1900. — ١٦

٥ — المصادر العربية والمعربة :

١ — إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي ١٨٥٨–١٩١٤، الرياض، ١٩٨٢م .

٢ — بريطانيا وإمارات الساحل العماني، دراسة في العلاقات التعاهدية، بغداد، ١٩٨٧م .

٣ — أبو ياسين، سمير محمد علي، العلاقات العمانية البريطانية ١٧٩٨–١٨٥٦، البصرة، ١٩٨١م .

٤ — العابد، صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧١٨–١٨١٠، بغداد ١٩٧٩م .

٥ — العقاد، د. صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، .

٦ — العماني، سرحان بن سعيد الأزكوي، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، حققه ونشره عبد الحميد القيسي، دار الدراسات الخليجية، ١٩٨٦م .

٧ — السالمي، نور الدين بن عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، طبعه وصححه أبو إسحق إبراهيمي اطفلش الجزائري، القاهرة، جـ ٢، ١٣٤٧هـ .

٨ – بيربيي، جان جاك، الخليج العربي، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز، بيروت، ١٩٥٩م، ط ١ .

٩ – روت، رودلف سعيد، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان، ١٧٩١-١٨٥٦، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، البصرة، ١٩٨٣م .

١٠ – قاسم، د. جمال زكريا، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية، ١٨٤٠-١٩١٤م، القاهرة، ١٩٦٦م .

١١ – شركة الزيت العربية الأمريكية، عمان والساحل الجنوبي للخليج العربي، القاهرة، ١٩٥٢م .

١٢ – لاندن، روبرت جيران، عمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً، ترجمة محمد أمين عبد الله، عمان، ١٩٧٠م .

١٣ – لتشوفسكي، جورج، الشرق الأوسط في الشئون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، ١٩٦٤م

٦ – المجلات والدوريات :

- مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الخامسة، ١٩٨٢، السعودية .

الصلات التجارية بين

بقلم : الدكتور صبري فالح الحمدي



الخليج العربي وبلاد الهند

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

احتلت منطقة الخليج العربي أهمية خاصة في العلاقات الدولية عبر العصور التاريخية المختلفة، باعتبارها جسراً رئيسياً لانتقال الحضارات الإنسانية والتجارية الدولية، ونتيجة لقلة مواردها الطبيعية فقد اعتمدت هذه المنطقة في حياتها الاقتصادية على ممارسة التجارة فيما بينها ومع البلدان الأخرى، وعلى حركة النقل البحري والبري للبضائع المختلفة منها وإليها، وذلك بحكم موقعها الجغرافي الذي جعل الخليج العربي ممراً بحرياً هاماً لطرق التجارة العالمية ما بين بلاد الشرق والغرب ومنذ فترات تاريخية قديمة، الأمر الذي أكسبها أهمية خاصة وشجع سكانها على ضرورة تقوية علاقاتهم التجارية مع مناطق مختلفة من العالم وفي مقدمتها بلاد الهند، إذ كانت التجارة تشكل صلب حياة البابليين والفينيقيين والعرب الذين تميزوا بنشاط جدير بالاحترام.



هؤلاء العرب الذين سخروا سفنهم لخدمة حركة التبادل التجاري، وهو ما انعكس إيجابيا على مجمل النشاطات الاقتصادية لسكان الخليج العربي .

إن التجارة بين الهند ومناطق الخليج العربي لا تعود إلى القرون الأخيرة فحسب، بل من الثابت من النصوص الكثيرة التي عثر عليها في مدينة بابل الأثرية، أن السفن الهندية كانت تصل إلى بابل على نهر الفرات في العراق قبل حوالي ٥٠٠ عام قبل الميلاد على الأقل. وكان العرب يعرفون المحيط الهندي جيداً ويمخرون عبابه بسهولة ودراية وكأنهم يسيرون في منطقة خبروها تماماً بل وكأنهم في أحد شوارع بلدهم(١)، ومما ساعدهم على ذلك نجاحهم في مراقبة الكواكب وتتبعهم لمسارها، ومعرفتهم لأوقات هبوب الرياح الموسمية، الأمر الذي مكنهم من الوصول إلى السواحل الهندية، وجرت العادة أن تبدأ حركة السفن في الخليج العربي مع بداية هبوب الرياح الشمالية الشرقية الموسمية في الخريف والشتاء . وقد تقوم السفن العربية الخليجية المتجهة إلى الهند برحلتين في السنة أو أكثر، أما العودة فتتوافق مع هبوب الرياح الجنوبية الغربية في أواخر الربيع وأوائل الصيف(٢)، وقد أشاد المؤرخ الإيطالي جيوفاني أومان بمهارة البحارة العرب بقوله : "لقد اشتهر البحارة من عرب الخليج بالمهارة والاستعدادات البحرية ولم يكتفوا أن حذقوا ثقافة البحر والتجارة على شواطئه وموانئه بل ظهر منهم المعلمون المهرة"(٣) .

من جانب آخر أدى عرب منطقة الخليج العربي دور الوسطاء في نقل التجارة ما بين السواحل الهندية وسواحل الخليج العربي والجزيرة العربية، إذ من الثابت تاريخياً أنهم كانوا واسطة بين قدماء الأوروبيين والشرق الأقصى، وهم أكثر الأمم منافسة في الاتجار مع الهند . وقد شكلت تجارة الخليج العربي

حلقة وصل مهمة في واحد من أهم طرق التجارة القديمة بين الهند وأوروبا وبين الشرق والغرب، كما ثبت ومن خلال النصوص التاريخية أن هناك جاليات عربية كانت موجودة في الهند قبل ظهور الإسلام، وكان الجزء الأكبر من تجارة الخليج العربي ينقل بواسطة السفن العربية[٤]، وحيث وصلت قوافل العرب البحرية إلى سواحل الهند وخلجانها فولعوا بنغائسها وطيبها[٥] . مقابل ذلك فقد أوردت مصادر تاريخية أن أهل الشرق وفي مقدمتهم الهنود قد وصلوا بسفنهم البحرية إلى الخليج العربي منذ القرن الخامس الميلادي على أصح تقدير، مما يشير إلى تنامي الصلات التجارية بين سكان الخليج العربي وبلاد الهند[٦] .

لذلك، كان من الطبيعي أن تنشأ علاقات تجارية بين مناطق الخليج العربي وبلاد الهند، بحكم الروابط التاريخية والمصالح المشتركة، والتي شهدت تطورا واضحاً خلال العصور الإسلامية المختلفة . وازدادت أهمية الخليج العربي وخصوصاً بعد إنشاء الأساطيل الإسلامية في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، حيث أضحت البحرين قاعدة الانطلاق العربي صوب إيران والهند، وتوسعت القوة البحرية العربية في العهدين الأموي والعباسي، وازدادت العلاقات التجارية العربية من بغداد إلى الهند وبالعكس عبر هذا المر المائي، ومن موانئ الخليج العربي العديدة التي انتعشت في العصر العباسي البصرة والبحرين وصحار وهرمز وقشم ونزوى[٧] .

وعلى الرغم من أن الميزان التجاري في العصر العباسي كان يميل إلى الاستيراد بشكل عام، غير أن هذه البلاد ولاسيما في الخليج العربي بحكم كونه مركزاً بحرياً تتجمع فيه التجارات، قد صدرت مواد بعضها أنتج محلياً والبعض الآخر نقله التجار عرباً وأجانب، كأنواع من التمور عرفت بها

البصرة، والفاكهة كالعنب والنارنج والموز وغير ذلك، كما حمل التجار العرب الخيول الأصيلة والبغال والحمير إلى بلاد الهند[٨] . لذلك اتسع نطاق الرحلات التجارية التي قام بها أبناء الخليج العربي إلى تلك المناطق حتى صارت المناطق الشمالية والغربية للهند امتداداً جغرافياً لشواطئ الخليج العربي، وأصبح للعرب جاليات عظيمة على سواحل الهند تمارس فيها شعائرها الدينية بحرية . وكان لهم المساجد والمحاكم الخاصة بالتجار المسلمين ووكلاء في بعض المدن الهندية، وعلى الجانب الآخر فقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن عدداً كبيراً من الجاليات الهندية قد استقرت في جميع مدن وموانئ الخليج العربي، وبات لها أسواق تجارية سميت باسمها كسوق الهندي في البصرة وهي من أجمل أسواقها[٩] .

وفي مطلع العصور الحديثة كانت تجلب أنواع المنتجات والمصنوعات الهندية بشكل رئيسي من كلكتا وسواحل الملبار مثل الفلفل والتوابل والملابس وسائر الأقمشة إلى البصرة، ولعل المعلومات القيمة والوصف الدقيق الذي أورده لنا الرحالة الهولندي راوولف ليونهارت أثناء زيارته المنطقة في الربع الأخير من القرن السادس عشر، ما أظهر لنا طبيعة وحجم الحركة التجارية المتنامية للبضائع الهندية وانسيابها في أسواق الخليج العربي، إذ يقول : "حينما كنت في بغداد في اليوم الثاني من شهر كانون الأول من عام ١٥٧٤، فقد أرسلت إليها خمس وعشرون سفينة موسقة بالأفاويه والعقاقير الثمينة من الهند بطريق هرمز إلى البصرة . وفي البصرة أفرغت هذه السفن بضاعتها في سفن صغيرة فنقلتها هذه السفن إلى بغداد حيث استغرقت السفن حوالي أربعين يوماً[١٠] .

شهد القرن السابع عشر تنافساً بين القوى الأوروبية (هولندا – فرنسا – إنجلترا) للسيطرة على الخليج العربي، وكان للمرسوم الملكي الذي صدر عام

١٦٠٠م والذي أعطى شركة الهند الشرقية الإنجليزية الحق في احتكار تجارة الشرق مدة (١٥) عاماً، لغرض المساهمة في ميدان تجارة التوابل مع الهند والأقطار المجاورة لها، أثر في تطور التجارة الخليجية الهندية، إذ سرعان ما أدرك مؤسسو الشركة أن منتوجات الهند وخاصة الشيت (الخام الهندي) والنتراق سلع مربحة أكثر بكثير من التوابل، ولذلك أقاموا أول مركز في سورات على الساحل الغربي من الهند، ثم توالى تأسيسهم للمراكز في مختلف أرجاء الهند بما فيه القسم الشرقي منها[١١].

الصلات التجارية بين الخليج العربي وبلاد الهند

(١٧٠٠ — ١٨٠٠م)

تزايدت الأهمية التجارية للخليج العربي مع إطلالة القرن الثامن عشر كونه يمثل طريقاً مهماً تمر خلاله البضائع وخصوصاً تلك القادمة من الهند[١٢]، إذ كانت الأخيرة تعد أهم مناطق إنتاج الأخشاب، خشب الساج والنارجيل خاصة، وهي الأخشاب الرئيسية اللازمة لصناعة السفن. وكانت المنتجات الخشبية تمثل طلباً ملحاً بالنسبة للخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، لأن هذه المناطق فقيرة في الغطاء النباتي، والخشب يمثل لهم بضاعة ضرورية، فمنه كانت تصنع السفن التي مثلت عصب النشاط الاقتصادي للسكان كما استغل في بناء المنازل[١٣]، إلى جانب ذلك فقد توارد العديد من التجار الهنود (البنجاب) إلى سواحل الخليج العربي ليمارسوا التجارة في موانئه ومدنه، وسرعان ما حازوا على سمعة واسعة فاقت شهرة بقية الهنود[١٤].

أما السفن التجارية القادمة من الهند وموانئ الخليج العربي إلى البصرة، فكان يرسل قسم من بضائعها إلى بغداد عبر الطرق النهرية والقسم الآخر يحمل مباشرة إلى حلب عبر الصحراء. ويذكر الرحالة البريطاني بلاستيد (Blasted) الذي جاء إلى المنطقة في عام ١٧٥٠م، أن باشا البصرة كان يتدخل أحياناً لإجبار التجار لإرسال بضائعهم إلى بغداد وذلك للحصول على ضرائب إضافية في بغداد، لكن كان التجار يفضلون إرسالها عبر الصحراء مباشرة إلى حلب لقلة الضرائب والكلفة وتكون المخاطر محدودة جداً[١٥].

وخلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر تطورت تلك العلاقات التجارية بسبب نجاح أبناء الخليج العربي في بناء السفن الكبيرة التي مكنتهم من الوصول إلى السواحل الهندية[١٦]، فيما شهدت تلك السواحل بالجانب الآخر نشاطاً تجارياً ملحوظاً. وأشار إلى ذلك الرحالة البريطاني كروس (Grose) الذي وصل إلى تلك المناطق عام ١٧٥٩م بالقول: "إن مدينة سورات أصبحت مركزاً مهماً للتبادل التجاري مع المناطق الأخرى إذ تنقل البضائع منها إلى موانئ الخليج العربي[١٧].

مقابل ذلك هاجر عدد من رجال التجارة الهنود والذين نزحوا من مدينة كيتش واستقروا في مسقط على الساحل العماني، وتزايد دورهم في المبادلات التجارية فأخذوا يتولون القيام بعمليات الاقتراض والأعمال المصرفية، فتركز نشاطهم في استيراد السلع الهندية كالمنسوجات والأدوية والأدوات المعدنية وغيرها مما تتطلبه حياة العرب، الأمر الذي أسهم في الازدهار التجاري الذي شهدته مسقط في أواخر القرن الثامن عشر[١٨]، ومما يعزز ذلك ما أوردته المصادر البريطانية بالقول: "إن مسقط سوق لقسم كبير من التجارة بين الخليج والهند

وأن لها أسطولا مرموقاً وتجارها يبنون لأنفسهم في نواح متعددة من بلاد الهند أنواعاً مختلفة من السفن ذات الأشرعة المربعة القادرة على الحمولة الضخمة" لدرجة أن إمام عمان أحمد بن سعيد (١٧٤٩ – ١٧٨٣م) أصبح يتبادل الهدايا مع أمراء الهنود ويوقع الاتفاقيات التجارية مع الأخيرين[١٩].

ولعل من عوامل ازدهار التجارة بين الخليج العربي والهند خلال هذه الفترة هو أن ركاب السفن المحملة بالبضائع الواردة من الهند كانوا تجاراً في نفس الوقت، وكان يتم بيع بضائعهم بسرعة حال نزولها في الأسواق الخليجية، ومما يؤكد ذلك ما أورده الرحالة الدنماركي نيبور (Niebouhr) الذي زار الخليج العربي عام ١٧٦٥م بقوله : "ويتجمع التجار الهنود ليبيعوا بضائعهم التي تعرض من خلال مزايدة علنية حيث يتم بيع معظمها، أما ما تبقى فيحمل إلى المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية"[٢٠]، وأشارت المصادر الروسية إلى ازدهار تلك التجارة التي تركزت في بوشهر ولنجه وبندر عباس والبصرة والمحمره، وكان للهند دور فعال في هذه التجارة، فيما يستخرج أحسن أنواع اللؤلؤ من أرخبيل البحرين التي تساهم في موسم الصيد بقرابة ٤٥٠٠ سفينة ويبلغ معدل الناتج السنوي حوالي ١٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك، كما يقع القسم الأكبر من ناتج اللؤلؤ بيد المرابين الهنود ويشحن من ميناء لنجة إلى بومباي[٢١].

أما هرمز التي تقع في مدخل الخليج العربي فتعد بحكم موقعها الجغرافي مركزاً تجارياً مهماً، وينظر إليها على أنها أفضل المناطق التي تطل على البحار الشرقية وقتذاك، واشتهر سكانها بسفنهم الخاصة التي كانت تقوم بنقل البضائع المرسلة إلى جـوا، كما تمتع تجارها بسمعة طيبة داخل منطقة الخليج العربي وخارجها، فقد ذكر أن سفنهم لا تفرغ أو تحمل قبل أن يتأكد قبطان السفينة من بضاعته[٢٢]، وعلى ذلك حققت هرمز نجاحاً ملحوظاً في علاقاتها

التجارية مع بلاد الهند أسوة بالمدن الخليجية الأخرى وخاصة في التبادل التجاري مع مناطق شمال الخليج العربي، حتى غدت المركز الذي منه تتوزع البضائع عبر العراق إلى أسواق سواحل البحر المتوسط(٢٣).

وحتى عام ١٧٧٣م كانت هناك حركة تجارية واسعة بين بندر عباس والبصرة وبوشهر ومسقط من جهة والبنغال وسورات من جهة أخرى. وقد امتصت الأسواق الفارسية البضائع المصدرة من الهند إلى بندر عباس وبوشهر، وكانت تلك البضائع تتألف من القماش القطني المطبوع والموسلين(٢٤)، وكميات كبيرة من البضائع ذات أنواع مختلفة من البنغال وسورات، إضافة إلى السكر وحلوى السكر والآنية الخزفية والزنجبيل وكافور المسك والفلفل الأسود والكركم والتوابل الهندية والحديد والرصاص والفولاذ والصفيح، وكانت تصدر إلى الهند الحرير والصوف الكرماني والسجاد والتبغ والفاكهة والأفيون وماء الورد والنحاس والزرنيخ وأنواعاً مختلفة من الأدوية، وكمية كبيرة من الأموال على شكل قطع نقدية من الذهب والفضة(٢٥).

أما صادرات الهند إلى البصرة فاشتملت على النيلة والشالات والحرير والقطن والسكر وأنواع مختلفة من التوابل والقماش القطني المطبوع وخشب الصندل والحديد والرصاص والأرز والثوم، ولم يستهلك سوى جزء محدود من تلك البضائع في باشوية بغداد، وكان جزء كبير من تلك البضائع يذهب من البصرة إلى فارس، كذلك يرسل من البصرة إلى بغداد، ومن الأخيرة يتم التوزيع الفعلي لتلك البضائع الهندية(٢٦)، ومما يبين تصاعد مكانة البصرة التجارية هو ما ذكره الرحالة البريطاني بارسونز (Parsons) الذي زار المدينة، إذ وصفها وكأنها السوق العظيم لمنتجات الهند وفارس واستنبول وحلب ودمشق وهي

مستودع منتجات تلك الأقطار حيث تأتي إليها القوافل من الشرق الأدنى وهي مزودة بالعملات الذهبية والفضية والمصبوغات النحاسية والحرير والجوخ الفرنسي والمجوهرات البندقية، ومن بلاد الهند المنسوجات القطنية والشال الكشميري والسكر والنيلة والقصدير والرصاص إضافة إلى التوابل[٢٧]، وقد غادرت بغداد قوافل في كل اتجاه إلى سوريا عبر الصحراء لتذهب إما إلى حلب أو إلى دمشق وأصفهان وجورجيا والأناضول، ووصلت كمية كبيرة من تلك البضائع الهندية إلى الإسكندرية والقسطنطينية، ومن هناك كانت تنقل براً وبحراً إلى أوروبا وأجزاء مختلفة من بلاد البحر المتوسط[٢٨].

وحينما تعرضت البصرة لمهاجمة واحتلال الفرس لها بقيادة كريم خان الزند عام (١٧٧٥ — ١٧٧٦) فقد أدى ذلك إلى ازدهار تجارة البحرين، حيث تمركز جزء كبير من تجارة اللؤلؤ وتجارة الهند وموانئ الخليج العربي مع الأخيرة، وترتب على ذلك أن كثرت وارداتها المالية وانتعشت أوضاعها الاقتصادية[٢٩]، إلا أن استقرار أحوال البصرة الداخلية بالفترة اللاحقة، مكنها من معاودة دورها التجاري أسوة بالكويت والزبارة ومسقط. إذ قدمت إليها عام ١٧٨٦م بعثة للملك تيبو سلطان من بلاد الهند لعقد اتفاقية تجارية مع مماليك البصرة وبهدف تعزيز التبادل التجاري بينهما[٣٠].

شهد الربع الأخير من القرن الثامن عشر تنامي العلاقات التجارية الخليجية — الهندية، ومما أسهم في تطورها هو إصدار الدولة العثمانية عام ١٧٧٩م أمراً سلطانياً حرم على السفن المسيحية أن تبحر من السويس مما أكسب موانئ الخليج العربي أهمية تجارية وجعلها بمثابة المركز الذي تصدر منه البضائع الهندية إلى حلب واستنبول[٣١]، إذ أصبح ميناء مسقط المحطة الرئيسة للسلع المتبادلة بين الهند وفارس والعراق وشبه الجزيرة العربية،

فكانت الصادرات الهندية تقابل بصادرات من تمور البصرة ولآلئ البحرين وأشرطة الذهب والفضة التي كانت تحملها القوافل القادمة من حلب، والنحاس من مناجم ديار بكر، فمعظم هذه الصادرات تمر بمسقط وهي في طريقها إلى الهند[٣٢].

على أن إقدام القواسم على إقامة مركز لاستقبال تجارة الهند في باسيدو بجزيرة خرج، قد أثار مخاوف الحكومة البريطانية على مصالحها في الخليج العربي وكانت تروم فرض سيطرتها على المنطقة، وحاول القواسم توزيع هذه التجارة في محيطهم الخليجي، ولكن شركة الهند الشرقية البريطانية وقد رأت تأثر تجارة وكالتها في بندر عباس من نشاط القواسم، اعتدت على مقر تجارتهم، وانتهى الصراع بين القواسم والبريطانيين بالحملة العسكرية البريطانية على رأس الخيمة وموانئ عمان عام ١٨١٩م[٣٣].

إلا أن من الأمور المثيرة للانتباه بصدد طبيعة التجارة بين الهند والخليج العربي طيلة القرن الثامن عشر، أن قيمة الصادرات الهندية إلى الخليج العربي فاقت قيمة الواردات ولم تصل سوى كميات قليلة من البضائع العربية إلى الهند، لم يشذ عن ذلك سوى تمور باشوية بغداد ولآلئ البحرين، ومن القيمة الإجمالية لصادرات منطقة الخليج العربي من التمور والتي تخمن قيمتها بمليون روبية بومبية، صدر قسم كبير منه إلى الهند، بينما صدر جزء كبير من اللآلئ التي قدرت قيمتها بـ ٥٠٠ ألف روبية إلى الهند أيضاً، أما بالنسبة إلى فارس فإنها لم تكن لتنتج سلعاً نفيسة بصورة كافية لبيعها في الهند، أو أن تنتج كميات كبيرة إلى حد يساعدها على الاحتفاظ بميزان تجاري مؤات[٣٤].

تطور الصلات التجارية بين الخليج العربي والهند

(١٨٠٠ – ١٩٠٠م)

مع إطلالة القرن التاسع عشر نشطت السفن الخليجية في موسم بيع التمور، فبعد أن يتم شحنها بالتمور من البصرة يتجه معظمها إلى الهند، بينما البعض الآخر يبحر إلى حضرموت وعدن والبحر الأحمر نحو شرق أفريقيا، وخلال رحلتهم التجارية يتوقف التجار في مدينة أو مدينتين من تلك المدن الصغيرة المنتشرة على السواحل الجنوبية للجزيرة العربية لتبادل السلع مع سكانها، إذ تباع هناك التمور العراقية التي عبئت في البصرة وكذلك الحمولات الأخرى كحزم الأقمشة وأكياس السكر التي اشتريت من أسواق الكويت وعدن، وإذا صادفهم كساد خصوصاً في بيع التمور يضطر هؤلاء التجار إلى البقاء في تلك الجهات فترة أطول قبل الإبحار إلى الهند لنقل الأخشاب وغيرها من السلع[٣٥].

أما تجارة اللؤلؤ التي تعد الهند سوقها الرئيسية، فقد ازدهرت هذه التجارة التي تعتمد على اللؤلؤ المستخرج من أعماق الخليج العربي، حتى أن بعض تجارها كانوا يسافرون إلى بومباي أو يرسلون بضاعتهم إليها، وهناك يتم تصنيف اللؤلؤ وإعداده للتصدير إلى الأسواق الأوروبية، فيما كانت أجزاء منه ترسل إلى بغداد وخاصة اللآلئ البيضاء، أما اللآلئ الصفراء فلها سوق رائجة في الهند، الأمر الذي انعكس إيجابياً على تزايد أعداد السفن العاملة في الغوص على اللؤلؤ والتي ذكر أن سفن أسطولها والتي كانت تخرج من البحرين وحدها عام ١٨٣٣م، بأنها مكونة من ١٥٠٠ بعثة دفعة واحدة[٣٦]، وعلى ما يبدو فإن

هذا الانتعاش التجاري قد دفع بالسلطات المحلية في بومباي على فرض المزيد من الرسوم والضرائب الجمركية على السفن البحرينية، مما اضطر الشيخ محمد بن خليفة شيخ البحرين عام ١٨٤٣م إلى تقديم شكوى للمقيم البريطاني بروس (Bruce) منتقداً تلك الإجراءات التي ألحقت الضرر بالاقتصاد البحريني وهدد بأنه ما لم يتم التوقف عن فرض تلك الرسوم المالية، فإنه سيجد نفسه مضطراً لأن يضع نفسه تحت حماية الدولة العثمانية(٣٧) .

إلا أن الأوضاع تغيرت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث ذكر أن تجار اللؤلؤ (الطواشون) كانوا يتاجرون باللآلئ المختلفة الأنواع والأحجام، والتي تباع بالمدن الهندية بمبالغ عالية جداً وصار الإقبال عليها شديداً من قبل المهراجات (الأمراء) الهنود الذين كانوا يدفعون فيها مبالغ خيالية، وقد تزايد عدد السفن العاملة بالغوص على اللؤلؤ كما ذكر الرحالة البريطاني بلجريف (Palgrave) عام ١٨٦٢م، بأنها لا تقل عن ٢٠٠٠ – ٣٥٠٠ سفينة(٣٨) ، وحسب تقرير الكولونيل بيلي (Pelly) المقيم البريطاني في الخليج العربي، فقد قدرت إيرادات الساحل الغربي من اللؤلؤ عام ١٨٦٣م بـ ٤ ملايين دولار، حصة البحرين منها ٣,٥ مليون دولار(٣٩) .

أصبحت البحرين في نهاية القرن التاسع عشر أكبر مركز تجاري في منطقة الخليج العربي، وأصبح حجم تجارتها يشكل حوالي ٤٥,٧ ٪ من مجموع حجم التجارة في موانئ الخليج العربي المختلفة، وأشارت المصادر التاريخية إلى أن موانئ البحرين باتت تدار خلال هذه الفترة من قبل الهنود المقيمين في البلاد، مقابل دفع مبالغ معينة للاحتفاظ بهذا الامتياز، وكونت صادرات الهند حوالي ٣٥,٢١ ٪ من مجموع الواردات، وقدرت ذات المصادر أن حوالي ٤٧,٢٠ ٪ من مجموع الصادرات البحرينية كان يصدر إلى الهند(٤٠) .

والواقع أن سبب امتلاك البحرين لذلك العدد الكبير من السفن وتزايد إيراداتها المالية المتأتية من تجارة اللؤلؤ، إنما يعود إلى أن مغاصها كان مشهوراً منذ عصور تاريخية قديمة وهو أكبر مغاص للؤلؤ في العالم(٤١)، إلى جانب كونها مؤلفة من مجموعة من الجزر وتمتعها بموقع جغرافي متميز جعل منها معبراً للتجارة ما بين الهند والبصرة، الأمر الذي حتم على السكان الاهتمام بصناعة السفن لأنها تعد الوسيلة الوحيدة للمواصلات بين الجزر البحرينية والعالم الخارجي، وعلى ذلك احتلت مركز الصدارة في عمليات صيد اللؤلؤ الذي كان يتم تصديره إلى الموانئ والمدن الهندية(٤٢).

من جانب آخر احتلت مسقط مكانة تجارية وأصبحت مركزاً لتجارة الأسلحة في الخليج العربي بالنصف الثاني من القرن التاسع عشر والتي تجد طريقها عبر بلاد فارس وأفغانستان الأمر الذي أثار القلاقل والاضطرابات على الحدود الشمالية الغربية للهند، مما دفع سلطان مسقط عام ١٨٩٨م إلى منع تصدير تلك الأسلحة عبر بلاده إلى فارس والهند(٤٣) فيما أشارت الوثائق البريطانية إلى وجود تجارة الرقيق والتي كان يتم تبادلها عبر موانئ البحر الأحمر والخليج العربي والمناطق المطلة على الساحل الغربي لبلاد الهند(٤٤).

ومع النشاط الاقتصادي البريطاني المتزايد في الخليج العربي واحتكار بريطانيا لتجارة المنطقة، بدأت تظهر أعداد كبيرة من الرعايا الهنود تقيم في موانئ الخليج العربي، يعملون وكلاء للشركات والمصالح البريطانية، وكان هؤلاء الهنود يحملون بطبيعة الحال الجنسية البريطانية ويتمتعون بنظام الامتيازات الذي تفرضه الهيمنة والاتفاقيات البريطانية مع أهل الخليج، وقد اصطدم الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني حاكم الدوحة وهو الميناء الناشئ الجديد

في منتصف القرن التاسع عشر مع هؤلاء الرعايا البريطانيين الذين أضروا بمصالح رعاياه ومصالح تجارته الشخصية عام ١٨٨١م، وهنا تدخل البريطانيون وهددوا الشيخ قاسم الذي هدد بدوره بطرد كل هؤلاء الهنود من الدوحة، وفعلاً قام بتنفيذ وعده وتعرض لضرب قلعته بمدافع المراكب البريطانية، وقد فسر الوكيل البريطاني في البحرين تصرفات الشيخ قاسم بن ثاني بأنه صدى لما وصل إلى علم تجار اللؤلؤ العرب في بومباي من أخبار ثورة الزعيم أحمد عرابي في مصر ضد النفوذ الأجنبي(٤٥).

أما قطر التي اشتهر عموم سكانها بنشاطهم البحري حتى قال عنهم المستشرق الروسي آداموف : "إنهم يقضون كل وقتهم على متن سفنهم ولا يسكن على الساحل سوى النساء والأطفال والشيوخ(٤٦)"، فلا عجب أن امتلك القطريون أسطولاً لصيد اللؤلؤ في مياه الخليج العربي بلغ تعداده حوالي ٨١٧ سفينة خلال القرن التاسع عشر عمل فيه قرابة ١٣٠٠ رجل، إضافة إلى وجود ١٤٠ سفينة لنقل التجارة إلى البحرين المجاورة، فيما أدت جزيرة قشم دوراً تجارياً مماثلاً للساحل الشرقي من الخليج العربي في أواخر القرن المذكور، إذ امتلك سكانها الكثير من السفن والتي كان لها دور ملحوظ في مواسم صيد اللؤلؤ بشكل مستمر، وذكر أن عددها قارب الخمسين سفينة عام ١٨٩٠م. أما مشيخات الساحل العماني فقد اشتهرت هي الأخرى بنشاطها التجاري البحري، حيث امتلكت كل من رأس الخيمة وأم القيوين وعجمان ودبي وأبوظبي سفناً لصيد اللؤلؤ بلغ تعدادها ١٢١٥ سفينة عمل فيها نحو ٢٠٤٥ شخصاً(٤٧).

في الوقت ذاته فإن السفن العربية العاملة في الخليج العربي كانت تصل إلى موانئ الهند مثل كلكتا وبومباي، وهي تنقل تمور العراق والاحساء وعمان إلى

شبه القارة الهندية للحاجة الغذائية إليها، وتتم مقايضة تلك التمور بمواد أخرى مطلوبة في صناعة السفن، كالخشب والحبال المصنوعة من ألياف جوز الهند والخيوط من كلكتا والمسامير من بلاد الهند وغيرها[٤٨]. وتحدث الأب أنستاس الكرملي عن تجارة التمور قائلاً : "إذا حان ميقات موسم التمر اشترى التجار كميات وافرة من هذا الثمر وحملوها على السفن الشراعية وذهبوا بها إلى الهند فيقايضونها هناك بأموال أخرى من أنسجة وأثاث وأدوات أخرى فرنجية ونحو ذلك ثم حملوها على نفس تلك السفن ورجعوا بها إلى مناطق الخليج العربي فيبيعونها بالدراهم"[٤٩]، أما تمور القطيف فأغلبها يصدر إلى عمان والبحرين أو بطريق البحرين إلى الهند، واعتبرت تمور العراق أهم صادراته وتشحن جميعها من ميناء البصرة، إذ كانت التمور من نوع الزهدي يلقى رواجاً في أسواق الهنـد، وبلغت مجموع صادرات البصرة منه في عام ١٨٩٦م ٥٧,٤٠٠ صندوق أرسلت إلى بومباي ومناطق أخرى[٥٠].

أما الفحم الحجري والذي تكثر مناجمه في جزيرة قشم وهرمز فكان يصدر إلى مسقط وزنجبار وبومباي إلى جانب تصاعد الفعاليات التجارية لميناء بندر عباس الذي يعد محطة مهمة لتجارة جنوب فارس، كما أدى دور الوسيط في تصدير المنتجات الهندية مثل الشاي والشخاط التي تصله من مدن خراسان وهرات وكابول التي توجد فيها الوكالات الهندية، فضلاً عن ذلك فقد شهد ميناء لنجة ازدهاراً تجارياً إذ كانت تمر به خطوط الملاحة البحرية بانتظام، ومن هذا الميناء وزعت تجارة ومصنوعات بومباي على إمارات الساحل العماني والبحرين وقطر[٥١].

تشكل تجارة الخيول في الخليج العربي سوقاً رائجة في الهند لكونها تستخدم أساساً في الحروب، بالإضافة إلى الرغبة في امتطائها نظراً لما في ركوبها من جمال وهيبة، لذلك سارع أمراء الهند إلى شرائها، وتحدثت المصادر

النجدية عن تجارة الخيول بالقول : "التجارة التي يتعاطاها أهل تلك الأرجاء هي الخيل والإبل وكلاهما من أحسن ما وجد من جنسيهما في الدنيا كلها جميعاً، فيذهب بالخيل مثلاً إلى بلاد الهند"[٥٢]، وكانت الخيول الشمرية تجلب من داخل الجزيرة العربية ويتولى تجار الخليج العربي إرسالها إلى الهند، والتي قدر عددها عام ١٨٦٣م بحوالي ٦٠٠ حيوان وبسعر ٣٠٠ روبية للرأس الواحد[٥٣]، وتعتبر بومباي السوق الذي تصدر إليه خيول الخليج العربي، ويتم بيع صادرات الخيول من الجزيرة العربية عن طريق البحر من مرفأ البصرة في طريقها إلى الهند، وأشارت المصادر التاريخية بأن البصرة كانت المكان الطبيعي لشحن الخيول التي تربى في العراق أو في ولاية بغداد بصفة رئيسية، إلى جانب تصدير معظم خيول نجد ومناطق الخليج العربي، واستناداً لذلك فقد أوردت المصادر البريطانية لعام ١٨٩٣م تصاعد أعداد الخيول التي يتم تصديرها إلى المرافئ والمدن الهندية في أواخر القرن التاسع عشر[٥٤].

أما البحرين فقد ظلت محتفظة بسمعتها وثقلها التجاري أواخر القرن التاسع عشر، حيث عرفت كمحطة تجارية تشتهر ببيع الخيول العربية، وفي المنامة عند باب البحرين توجد مخازن هندية كبرى تقدم كل ما يباع من بضائع مختلفة[٥٥]، يفد إليها سكان داخل شبه الجزيرة العربية الذين كانوا يحتاجون إلى البضائع الهندية كالعقاقير ومواد الملابس والتوابل، كما تطورت تجارة مسقط جراء تنامي صادراتها مع الموانئ والمدن الهندية بحكم اشتهار أهلها بالملاحة والتعامل التجاري[٥٦].

أما البصرة فقد أصبحت في النصف الأول من القرن التاسع عشر من أهم مراكز التجارة في الشرق، فغالبا ما كانت تفد إليها الكثير من سلع الهند وتنقل عبرها إلى فارس وسوريا وجزيرة العرب والأناضول، كما أن جزءاً منها يصل إلى سواحل البحر المتوسط حيث تنقل إلى أوروبا، فضلاً عن ذلك فقد كانت تأتي

الكثير من صادرات هذه البلاد إلى البصرة وتنقل منها إلى بلاد الهند[٥٧]، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه هو ما أورده الرحالة فريزر (Fraser) الذي زار سوق الشيوخ التي تعد إحدى توابع البصرة عام ١٨٣٠م، مشيراً إلى نشاطها التجاري المتميز إذ قال عن تجارة المدينة : بأنها رابحة ولاسيما في السكر والقهوة والأعشاب الطبية والنيلة وسائر المنتجات الهندية الأخرى حيث كانت ترسل إلى بغداد ودمشق، وكان لبعض تجار سوق الشيوخ علاقات تجارية مع ميناء بوشهر وبومباي[٥٨]، وتصاعد النشاط التجاري للبصرة في النصف الثاني من القرن المذكور، واستناداً إلى المصادر البريطانية فإن الجدول الآتي يبين أهم المواد المصدرة من البصرة إلى الهند عام ١٨٥٧م وأقيامها :

المادة	قيمتها
الخيول	٥,٠٥٩,٥٠٠ روبية
الأحجار الكريمة	٧٧,٠٨٦ روبية
الحرير	٣٥,٨٨٢ روبية
الصوف	٥٥,٩٩٢ روبية[٥٩]

من جانب آخر يلاحظ أن بعض مناطق الخليج العربي كانت تقوم باستيراد القماش من الهند، فقد روى لنا الرحالة الأمريكي لوشر الذي زار شمال الخليج العربي عام ١٨٦٨م : "إنه كان بين مسافريه تاجر عربي غني جداً وكان قد حمل معه فوق السطحة عدة مئات من البالات لقطع القماش كان قد اشتراها من بومباي"[٦٠]، إلى جانب استيراد الأخشاب بخاصة من الهند وحبال السفن وقماش أشرعتها والتي تدخل في صناعة السفن العربية الخليجية بأنواعها المختلفة والملابس والحبال، فضلاً عن تجارة الأسلحة التي اشتهرت

بها مسقط، خاصة بعد أن تمكن التاجر الفرنسي (المسيو جوجير) من إقامة مركز فيها يتعاطي فيه تجارة الأسلحة، ومن هناك كان يبعث بالسفن التابعة له والتي ترفع العلم الفرنسي[٦١]، كما ازدهرت تجارة التوابل والجلود، الأمر الذي أسهم في ازدياد وارداتها التي تأتيها من بلاد الهند[٦٢]، وللدلالة على ذلك ما ذكرته المصادر التاريخية بأن صادرات الهند إلى الخليج العربي قد فاقت قيمة الواردات منها، وكانت التمور تحتل مركز الصدارة في صادرات الخليج العربي، وتستهلك بلاد الهند ما يقارب الـ ٧٠ ٪ من مجموع التمور المصدرة إلى مختلف بقاع العالم، بينما يحتل الأرز مركز الصدارة في صادرات الهند إلى الخليج العربي[٦٣]، وهو أمر عزز من قدرات سكان الخليج العربي الاقتصادية رغم تعرض المنطقة برمتها للأطماع الأجنبية واشتداد الصراع العثماني – البريطاني للسيطرة عليها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

في ختام هذا البحث يتبين لنا أن دراسة تاريخ العلاقات التجارية بين شبه القارة الهندية ومنطقة الخليج العربي قد أثبتت تنامي وتأثر الصلات التجارية بين الجانبين، والتي اتسمت بالديمومة رغم ما اعتراها من عراقيل، كما أنها لم تقتصر على فترة زمنية معينة، رغم الأحداث السياسية التي تعرض لها الخليج العربي، على أن ما يميز هذه العلاقات ما حققه سكان الخليج العربي من إفادة مالية متأتية من تجارة الترانزيت التي كانت تمر بمياههم وأراضيهم في طريقها إلى بلاد الهند[٦٤]، ولعل من الضروري القول أن ما شد من أواصر تلك الصلات التجارية، ما قام به التجار العرب من دور في توسيع تبادلهم التجاري مع التجار الهنود ونجاحهم بالتالي في إرساء دعائم تلك العلاقات المتميزة مع المرافئ البحرية الهندية وبيوتاتها التجارية .

د. صبري فالح الحمدي

الجامعة المستنصرية

كلية التربية – قسم التاريخ

الهوامش

١ – هاري ساكس، عظمة بابل موجز حضارة وادي الرافدين، ترجمة د. عامر سليمان، بغداد ١٩٨٢م، ص٢٧٣ .

٢ – س. ب. مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، سلطنة عمان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٧٦ ؛ د. خلدون النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٩م، ص ص٤٤–٤٥ .

٣ – د. محمود علي الداود، الخليج العربي والعمل العربي المشترك، بغداد ١٩٨٠م، ص٢٩ .

٤ – جون ب. كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٧٠م، ترجمة محمد أمين عبد الله، جـ ٢، سلطنة عمان (د. ت) ص٢٧٧ .

٥ – لمزيد من التفاصيل أنظر توفيق الفكيكي المحامي، العلاقات التاريخية والثقافية بين الهند والبلاد العربية، مجلة الاعتدال، ع ٣، وس ٦، النجف الأشرف، جمادى الثانية ١٣٦٥ هـ/مارس ١٩٤٦م، ص١٦٦ .

٦ – أنظر : Joseph Needham, Science and Civilization in China, Vol. I, Cambridge, 1971, P. 179 .

٧ – الداود، ملامح التاريخ السياسي الحديث لمنطقة الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، ع ٨، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة ١٩٧٧م، ص١١ .

٨ – د. عادل محي الدين الألوسي، الصلات التجارية بين الخليج العربي وجنوب شرقي آسيا في العصر العباسي، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ع ٣ – ٤، ١٩٨٤م،ص٨٨ .

٩ – أنظر : د. رمزية عبد الوهاب الخيرو، تجارة الخليج العربي وآثارها في الحياة الاقتصادية في منطقة الخليج والعراق منذ صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، بغداد ١٩٨٧م، ص ص١٢١ – ١٢٢ ؛ الفكيكي المحامي، المصدر السابق، ص ص١٧٠ – ١٧١ .

١٠ – راوولف ليونهارت، رحلة الشرق إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ١٥٧٣ – ١٥٧٤م، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٧٨م، ص٢١ .

١١ – د. مصطفى عبد القادر النجار، شركة الهند الشرقية ملامحها وأبرز سماتها في الخليج العربي

(١٦٠٠ – ١٨٥٨م)، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع ١٥، س ١٤، تموز ١٩٧٨ م، رجب ١٣٩٨هـ، ص١٠٢ .

١٢ – Johns, Hopkins, The Persian Gulf states, London,1981, p. 42.

١٣ – ج ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، جـ ٢، ترجمة ديوان حاكم قطر، الدوحة ١٩٦٧م، ص٢٣٠ .

١٤ – La Roque, A Voyage to Arabia the Happy in the years between (1708-1713) London, 1726, p. 123.

١٥ – د. فلاح عبد الحسين وآخرون، طريق بصرة – حلب للقوافل التجارية كما وصفها الرحالة الأوروبيون في العصر الحديث، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع ٥٨، س ١٥، شعبان ١٤٠٩هـ/نيسان ١٩٨٩م، ص٥٨ .

١٦ – إبراهيم خليل، قصة المراكب والسفن في الخليج العربي، مجلة الجامعة، ع ١٠، الموصل، تموز ١٩٧٦م، ص٢٢ .

١٧ – C. Grose, A Voyage to The East Indies, V. II, London, 1772, p.321.

١٨ – لمزيد من التفاصيل أنظر مايلز، المصدر السابق، ص٣٧٥ .

١٩ – Report on the Commerce of Arabia and Persia by Samwel Monesty and Herfore Johnes, 15 August 1970; كيلي، المصدر السابق، ص١٤

٢٠ – M. C. Niebouhr, Travels through Arabia and other countries in the East, Vol. II, Edinbourgh, 1792, p. 388

٢١ – أنظر :آداموف، التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة د. نوري عبد البخيت، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ع ٩، ١٩٧٨م، ص١١٣ و١١٧ .

٢٢ – Niels Steensguard ; The Asian Trade Revolution of the Seventeenth Century, Cehe university of Chica press, Chicago and London, p. 200.

٢٣ – The Desert Route to India, edited by Douglas Carruthers, London, 1929, p. xii.

٢٤ – الموسيلين، نسيج قطني يمتاز بالرقة.

٢٥ – د. عبد الأمير محمد أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧ – ١٧٧٨م)، تعريب هاشم كاظم لازم، مراجعة مكي حبيب المؤمن، بغداد ١٩٧٧م، ص ص٢١٠ – ٢١١ .

٢٦ - لمزيد من التفاصيل أنظر أمين، سجلات يوميات مقيمية البصرة (١٧٩٨ - ١٨١١م)، مجلة المؤرخ العربي، ع ١٤، ١٩٨٠، ص٢٣٤ ؛ نفس المؤلف، الصالح، ص ص٢١١ - ٢١٢ .

٢٧ - Abraham Parsons; Travels in Asia and Africa, London, 1808, pp. 154-155.

٢٨ - Ibid, p. 155.

٢٩ - R. Haghes, Thomas; Selections From the Records of the Bombay government, Historical and other information connected with the province of Oman, Muscat, Bahrain, and other places in the (Persian) Arabian Gulf. (new series no. XXIV) Bombay, 1850, pp. 363-364.

٣٠ - د. أحمد حسن القهواتي، أضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، ع ٢، ١٩٨٠، ص ص٢١-٢٢ .

٣١ - أنظر : د. عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، جـ ٢، القاهرة ١٩٨٠م، ص ص٧٣٣ - ٧٣٤ .

٣٢ - د. بدر الدين الخصوصي، دور الموانئ الخليجية في قيام المنافسات الدولية في منطقة الخليج، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الندوة العلمية الثانية (١٢ - ١٩ نيسان) ١٩٨٥م، ص٢٣ .

٣٣ - أنظر : د. محمد مرسي عبد الله، الخلفية التاريخية لموانئ الخليج، مجلة المؤرخ العربي، ع ٢٨، س ١١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ص ٨ - ٩ .

٣٤ - أنظر : أمين، الصالح، ص٢١٣ .

٣٥ - د. نجاة عبد القادر الجاسم القناعي، د. الخصوصي، تاريخ صناعة السفن في الكويت وأنشطتها المختلفة، ١٩٨٢م، ص١٨٧ .

٣٦ - محمد جابر الأنصاري، لمحات من الخليج العربي، ١٩٧٠م، ص٦٥ .

٣٧ - Thomas; op. cit. p. 418.

٣٨ - W.G., Palgrave; Narrative of a years Journey Through Central and Eastern Arabian (1862-1863), vol. II, London, 1865, p. 214.

٣٩ - J-A; Saldanha; precisof correspondence Regarding the affairs of the (Persian Gulf), vol. II, (1834-1871), Calcutta, 1906, (Reprinted in 1986) p. 1220.

٤٠ - لمزيد من التفاصيل أنظر : خالد خليفة الخليفة، تجارة البحرين منذ فتح العتوب وحتى ظهور النفط، مجلة الوثيقة، ع ٧، س ٤، شوال ١٤٠٥هـ/تموز ١٩٨٥م، ص ص ٣٢-٣٧ .

٤١ - رزوق افندي عيسى، مغاصات اللؤلؤ، مجلة لغة العرب، مج ١، ج ١٢، جمادى الآخرة ١٣٣٠هـ/أيار ١٩١٢م، ص٤٨٤ .

٤٢ - أنظر : كاظم باقر علي، البحرية الفارسية في الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٢م، ص ٧٠ .

٤٣ - د. جاد محمد طه، تجارة الأسلحة في غرب آسيا، المجلة التاريخية المصرية، مج ١٧، القاهرة ١٩٧٠م، ص١٧٠ .

٤٤ - Secret Letter from India to Foreign Office, no. 127, dated on the 22nd May 1870, quoted in G-u, Aitchison; A collection of Treaties Engagements and Sands Relating to India and Neighboring Countries, vol. 7, Calcutta 1933, p. 46.

٤٥ - مرسي عبد الله، المصدر السابق، ص٩ .

٤٦ - أنظر ألكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، جـ١، ترجمة د. هاشم صالح التكريتي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٩م، ص٧٢ .

٤٧ - لمزيد من التفاصيل أنظر : باقر علي، المصدر السابق، ص١٣٧ و ١٧٠ .

٤٨ - Saldanha, op. cit, p. 122.

٤٩ - الأب أنستاس الكرملي، الكويت، مجلة المشرق، ع ١١، س ٧، بيروت، حزيران ١٩٠٤م، ص٥١٠ .

٥٠ - أنظر لوريمر، المصدر السابق، ص ص٣٢٩٩ - ٣٣٠١ .

٥١ - آدموف، التجارة الدولية، ص ص١١٤ - ١١٧ ؛ مرسي عبد الله، المصدر السابق، ص٩ .

٥٢ - سليمان الدخيل، أخلاق أهل نجد، مجلة لغة العرب، مج ١، جـ٢، بغداد، شعبان ١٣٢٩ هـ/آب ١٩١١م، ص٦٤ .

٥٣ - R. Bayly, Winder; Saudi Arabia in the Nineteenth Century, New York, 1905, p. 2140.

٥٤ - د. شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١ - ٩٠٤ هـ/٦٦١ - ١٤٩٨م)، عالم المعرفة (١٥)، ذو الحجة ١٤١٠هـ/يوليو ١٩٩٠م، ص٢٣٠ ؛ أمين، المصالح، ص٢١٣ ؛ لوريمر، المصدر السابق، ص٣٣٣٧ .

٥٥ - Fereydaum, Adamiyt; Bahrain Islands, A legal diplomatic Study of the British-Iranian controversy, New York, 1935, p. 3;

جاك بيربي، الخليج العربي و تعريب نجدت ماهر، سعيد الغز، بيروت ١٩٥٩م، ص١٦١ .

٥٦ - Andrew, Crrichon; History of Arabia and its people, London and Edinburgh, 1852, p. 526

٥٧ - J.S, Buckingham; Travels in Asia, Media and Persia, London,1829, p. 463.

٥٨ - Baillie Fraser; Travels in Kordstan Mesopotamia, vol. II, London, 1840, pp. 105-112.

٥٩ - Saldanha, op. cit, p. 25.

٦٠ - أ. لوشر، الكويت عا ١٨٦٨م، ترجمة عبد الله ناصر الصانع، ١٩٥٩م، ص ص١١-١٢ .

٦١ - لمزيد من التفاصيل أنظر : لوريمر، المصدر السابق، ص٣٧٢٨ .

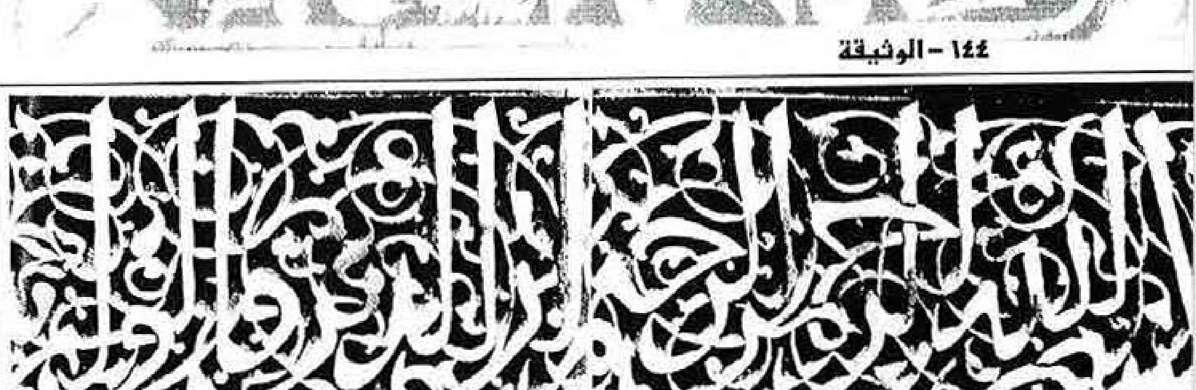
٦٢ - القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، ١٨٦٩ - ١٩١٤م، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٠م، ص١٤٦ .

٦٣ - أنظر د. عبد المالك خلف التميمي، تاريخ العلاقات التجارية بين الهند ومنطقة الخليج العربي في العصر الحديث، الحولية الثانية الرسالة الثامنة والأربعون، جامعة الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٠ .

٦٤ - المصدر نفسه، ص٥٠ .

في أصل الحرف

بقلم محمد ذنون زينو الصائغ



والكتابة العربية

تعددت آراء الباحثين والمؤرخين في أصل الحرف والكتابة العربية، ومنها ما اتفق عليه ومنها ما اختلف فيه، لذا تعددت النظريات بسبب اتجاهات الباحثين واختلاف المصادر التي استقوا منها معلوماتهم وأسندوا إليها نظرياتهم، وسنحاول في هذه المقالة بإيجاز استعراض بعض من أشهر هذه الأفكار والنظريات .

ففي أصل الكتابة العربية واشتقاق الخط العربي شاعت بين أوساط الباحثين والمؤرخين والفقهاء نظرية تدعى بـ (التوقيف)، حيث تجمع معظم المصادر العربية القديمة على أن الخط العربي الذي كتب العرب به (توقيف من الله)، علمه آدم (عليه السلام) فكتب به الكتب المختلفة فلما أظل الأرض الغرق ثم انجاب عنها الماء أصاب كل قوم كتابهم، وكان الكتاب العربي من نصيب إسماعيل (عليه السلام) .

وهذا الرأي لا يقوم على أساس من العلم أو سند من التاريخ صحيح، إلا أن العرب اعتنقوه وأشاعوه لتأييد النظرية التي تذهب إلى أن إسماعيل أبو العرب المستعربة التي منها قريش أول من تكلم العربية، تعلمها من العرب المستعربة ثم تعلمها عنه بنوه[١] .

وربما استند الباحثون والمؤرخون في رأيهم هذا إلى عدد من الحوادث التاريخية منها ما روي عند بناء الكعبة، فبعد أن جرفها سيل عارم وأوشكت الكعبة على الانهيار اضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها، فقاموا بهدمها وكانوا يهابون ذلك، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي[٢] بعد أن سألهم أيريدون من هدمها الإصلاح أم الإساءة ؟ فقالوا : بل الإصلاح، فهدموا حتى وصلوا إلى أساس إسماعيل وهناك وجدوا صحافاً دون فيها كثير من الحكم[٣][*] .

ويؤيد هذه النظرية (الجهشياري) إذ يذكر أن من وضع الكتابة العربية هو (إسماعيل بن إبراهيم الخليل)، ويبدو أنه كان يقصد بذلك على طريقة لغة الكتاب المقدس، العرب أولاد إسماعيل وولده عدنان . . . وحينئذ يمكن فهم النص بأن المقصود بإسماعيل هم (العرب)، فهم الذين وضعوا حروفهم الأبجدية وليس إسماعيل بن إبراهيم الخليل بالذات[٤] .

وهناك رأي آخر يفسر معنى (التوقيف) بما معناه أن تدوين القرآن الكريم توقيف من الرسول محمد ﷺ، فهو الذي أمرهم أي (الصحابة — رضوان الله عليهم) أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الأحرف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وما كانت العرب قبل الإسلام ولا أهل الإيمان من سائر الأمم في أديانهم يعرفون ذلك ولا يهتدون بعقولهم إلى شيء منه، وهو سر من

الأسرار خص به الله — عز وجل كتابه العزيز من دون سائر الكتب السماوية التي سبقته(٥) .

ويرى البعض في نظرية التوقيف الإلهي أن أصولها كامنة في حقيقة الإلهام باعتبار أن اللغة كتدوين في حضور الصوت في الذاكرة والقراءة وأخيراً التدوين (الكتابة)، ويعتقد بأن هذه النظرية في تفسير نشأة الخط العربي، توغل بعيداً في الغوص إلى أسباب نشأة الوسيلة التي تم بها إيصال كلام الله تعالى عن الوحي والرسول محمد ﷺ إلى الناس . . والخط العربي بهذا المعنى لا يقتصر على كونه مجرد أبجديات . بل نظام معين من الأبجدية استطاعت أن تختزل في صلبها معنى للنظم (وهو ما أفصح عنه التطور الذي تطورت إليه) . . يقول محمد بن عبد الجبار النفري (وقال لي — أي الحق عز وجل — أوقفت الحرف قدام الكون، وأوقفت العقل قدام الحرف، وأوقفت المعرفة قدام العقل، وأوقفت الإخلاص قدام المعرفة، وقال : لا يعرفني الحرف، ولا يعرفني (ما عن) الحرف، ولا يعرفني (ما في) الحرف، وقال لي : إنما خاطبت (الحرف) بلسان الحرف، فلا اللسان شهدني ولا الحرف عرفني) .

ويلخص المتصوف الكبير (محيي الدين بن عربي) معنى نظرية التوقيف الإلهي بقوله (الحرف سر من أسرار الله تعالى . العلم بها من أشرف العلوم المخزونة عند الله)، وهو هنا يعني علم الحروف أو الجفر، أي أن هذه النظرية لا تتناول الأبجدية العربية على علاتها كمجرد علامات للتدوين من خلال المنظور التاريخي، بل تحاول أن ترجع بهذه الأبجدية (المخلوقة) إلى محتواها الأصيل وهو كلام الله عز وجل(٦) .

والحقيقة أن نظرية التوقيف على اختلاف مضامينها تعرضت للنقض الكثير وتعددت تأويلاتها وتفسيراتها ما بين المفكرين قديماً وحديثاً .

(العِبادُ) في الحيرة الذين بقوا على نصرانيتهم إلى عصر العباسيين، ولعل نصارى الحيرة والعباد على وجه الخصوص أول من كتب الخط العربي[١١].

أو استندوا إلى ما قيل في الشعر الجاهلي، فهذا رجل كندي من دومة الجندل يمُنُّ على قريش في أبيات إذ يقول :

ولا تجحـدوا نعماء بشرٍ عليكم فقـد كان ميمـون النقيبـة أزهـرا
أتاكم بخط الـجزم حتى حفظتم من الـمال ما قد كان شـتىً مبعثرا
وألفيتـم ما كان بالمـال مهمـلاً وطـامنتـم ما كـان منـه مبقـرا
فأجريتم الأقـلام عـوداً وبـدأة وضاهيتـم كتاب كسرى وقيصـرا
وأغنيتم عن مسند الحي حميـرا وما زبرت في الصحف أقلام حميرا

من هذه الأبيات الشعرية استدل بعض المؤرخين على أن أول من كتب بخطنا هذا وهو (الجزم) مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة وهم من قبيلة طي، وروي كيف تعلموه فقيل بأنهم تعلموه من كاتب الوحي لهود (عليه السلام)، ثم علموه أهل الأنبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة . . فتعلمها بشر بن عبد الملك أخو الأكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، وكان له صحبة بحرب بن أمية لتجارته عندهم في بلاد العراق فتعلم حرب منه الكتابة، ثم سافر معه بشر إلى مكة فتزوج (الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان)، فتعلم منه جماعة من أهل مكة، لذا كان أكثر الكتاب يومذاك في قبيلة قريش . . فَمَنَّ ذلك الرجل الكندي على قريش بذلك .

وسمي خط العرب بخط الجزم لأن الخط الكوفي كان أولاً يسمى الجزم قبل وجود الكوفة لأنه جُزَم، أي اقتطع وولد من المسند الحميري، ومرامر هو الذي اقتطعه[١٢].

إن هذه النظرية التي أيدها عدد من المؤرخين العرب القدماء، تنوقلت بروايات عدة، متقاربة في محتواها، ومفادها كما مر بنا قبل برهة وجيزة بأن الكتابة العربية في نشأتها ربما انتقلت دون سواها بوساطة بعض الشخصيات

العربية، وهـذا ما ورد أيضاً في السيرة الحلبيـــة التي تنسب ذلك إلى (نـزار بن معد بن عدنـــان)، أو سيرة ابن هشام التي تجعل من (حمير بن سبأ) واضعاً لها .

أو أنها انتقلت عن طريق بعض الأقوام لا الأشخاص . لا بل إن هناك من ينسب الأمر إلى بعض المدن كالحيرة والأنبار، أو إلى بعض الشخصيات الدينية كإسماعيل بن إبراهيم الخليل (عليهما السلام) . وهناك نفر آخر قالوا بنظرية التوقيف الإلهي بمنظورها الإلهي البحت .

أو ما تناقله آخرون واختلفوا قليلاً في روايته من أن ثلاثة من العرب هم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة كانوا قد اجتمعوا وقاسوا هجاء اللغة العربية على هجاء السريانية ثم وضعوا الخط العربي، فالأول (مرامر) وضع الحروف، والثاني (أسلم) فصل الحروف ووصلها، والثالث (عامر) وضع الجزم، أي القطع لأنه – أي الحرف مقتطع من المسند الحميري، فتعلم عنهم قوم من الأنبار ثم تعلم من هؤلاء جماعة من الحيرة[١٣] .

وقيل في أصل الخط والكتابة العربية والفضل في اكتشافهما بأنه يعود إلى الشعوب السامية، فهم الذين بكروا وسبقوا غيرهم من الشعوب في ابتداعهم أساليب الكتابة، والفضل الأكبر كان للفينيقيين في ابتداع الحرف وفي نشره في العالم القديم، أما الأراميون فكان فضلهم في حمله إلى أقاصي الشرق[١٤] .

ورُجحت بعض الآراء المعتمدة على الدراسات الموضوعية للنصوص المكتشفة ومناقشتها وتمحيصها، إلى أن الخط العربي يعود في أصله ونشأته إلى الخط النبطي والذي هو بدوره متطور عن الخط الأرامي، ويؤكد هذا الرأي دكتور عفيف بهنسي بقوله : (أما الرأي الذي اتفق عليه أكثر الباحثين فهو أن الكتابة التي ظهرت في جبيل انتقلت إلى الأراميين، واستعمل الأنباط الكتابة الأرامية وطوروها وامتد تطورها إلى العربية)، والمقارنة بين الخطين النبطي

١٢ – السيد محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه وضبطه وتصحيحه محمد بهجة الأثري، جـ ٣، ط ٢، المطبعة الرحمانية، مصر ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، ص٣٦٨ .

١٣ – شاكر حسن آل سعيد، الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي، مصدر سابق، ص٧٩ .

١٤ – قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت١٩٨١ م، ص٩٩ .

١٥ – شاكر حسن آل سعيد، الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي، مصدر سابق، ص٧٧ .

١٦ – نفس المصدر السابق، ص٨٠ .

المراجع والمصادر

١ – أبو خلدون ساطع الحصري، في اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية، ط ٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٥ .

٢ – إبراهيم جمعة، قصة الكتابة العربية، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر ١٩٤٧م .

٣ – السيد محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه وضبطه وتصحيحه محمد بهجة الأثري، جـ ٣، ط ٢، المطبعة الرحمانية، مصر ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م .

٤ – الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية – على صاحبها أفضل الصلاة والسلام)، ط ١، مكتبة الفجر، دمشق، دار السلام، السعودية ١٤١٨هـ .

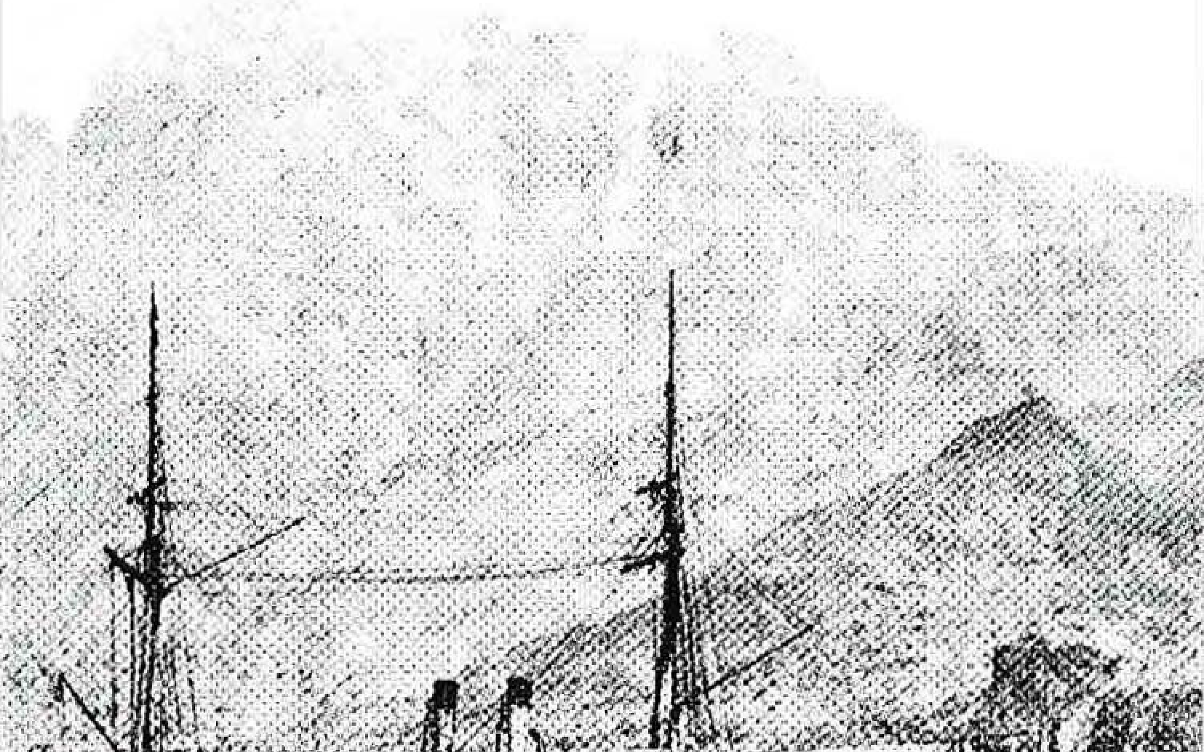
٥ – شاكر حسن آل سعيد، الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي، ط ١، دار الشئون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد ١٩٨٨ .

٦ – الشيخ محمد الخضري بيك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تحقيق محيي الدين الجراح، دار الكتب العلمية، بيروت، مكتبة الشرق الجديد، بغداد ١٩٧٨م .

٧ – قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م .

٨ – كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، عربه د. عبد الحليم النجار، جـ ١، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م .

وصف الخليج العربي



١٥٦ - الوثيقة

الرحالة والبحارة الروس

بين ١٨٩٧م و ١٩٠٦م[١]

بقلم : أوليج ردكين

يبدو أن المصالح السياسية والاقتصادية الروسية المرتبطة بالخليج تطورت في بداية القرن التاسع عشر . وقد رفعت في وقت مبكر في عام ١٨٢٥م مذكرة للحكومة الروسية بخصوص مشروع إنشاء مخفر أمامي روسي في مدينة مسقط (عمان) لترويج الملاحة والتجارة الروسية في هذه المنطقة . وكان ذلك المشروع هو المشروع الوحيد في هذا الموضوع حتى نهاية القرن .

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان قد أصبح الخليج العربي منطقة تنافس بين روسيا والقوى الاستعمارية في تلك الحقبة من الزمن، وهي كل من بريطانيا العظمى وإلى حد ما فرنسا وألمانيا . واعتبرت روسيا منطقة الخليج أقرب طريق للوصول إلى المحيط الهندي والشرق الأقصى وذات أهمية تجارية لها .



وكانت المنطقة تحت سيطرة الإنجليز كلية لمدة قرنين عسكرياً وسياسياً واقتصادياً . فاستهدفت سياسة روسيا الخارجية إنشاء كيانها السياسي الدائم في المنطقة وإقامة علاقات تجارية مع الخليج . أي كان لروسيا هدفان، تنظيم رحلات تجارية منتظمة إليه من جهة، وتدعيمها بوجودها العسكري في الخليج فأرسلت روسيا لأول مرة سفناً عسكرية وتجارية إلى منطقة الخليج في عام ١٩٠٠م .

ففي عام ١٨٩٧م تم ابتعاث قنصل روسي اسمه أدموف[٢] إلى الخليج العربي . ومن سوء الحظ ليس لدينا أية معلومات عن هذه الزيارة .

وتوجد وثيقة في الأرشيفات الروسية تشهد بأنه في بداية القرن العشرين أرسلت حملة سرية خاصة إلى الخليج بغرض دراسة الموانئ الموجودة فيه . وإعداد تقرير عنها .

وفي بداية أبريل ١٩٠٠م بدأ "فاسيلي رومانوف" مغامراته البحرية بناءً على تعليمات من جمعية علم الإنسان في جامعة سان بطرسبرج وبمساعدة من الشركة الروسية للملاحة البخارية والتجارة . وانطلق في رحلات استكشافية محفوفة بالمخاطر، في سواحل الخليج العربي ومصب شط العرب، في وجه العراقيل التي أقامتها السلطات الإنجليزية في طريقه طالبة منه دفع مبالغ ضخمة لسفره من الإسكندرية إلى الخليج العربي بعد أن عرفت بأنه مواطن روسي . ورغم كل هذه الصعوبات كانت رحلاته ناجحة كما يظهر من تقاريره عن الموانئ الخليجية . وفضلاً عن الوصف للموانئ الخليجية تتضمن تقاريره معلومات عن السكان ونمو التجارة والحرف اليدوية الرائجة فيها .

وبخصوص السلع التجارية يصرح رومانوف[٣] : "بأن الإنجليز اهتموا باستيراد النفط بصفة خاصة . وازداد الطلب للنفط من عام إلى عام في منطقة الخليج الساحلية والهند . وفي هذا العام تم استيراد النفط بقيمة ٨٠٠٠ جنيه .

وأنهم يستخدمون الفحم أيضاً المستورد من إنجلترا" . وهناك بيانات عن علم الأعراق والتاريخ في تقرير رومانوف . وعقب زيارته للكويت كتب رومانوف : "تقع مدينة الكويت الصغيرة على الساحل الخليجي الغربي على خط العرض ٢٨° وحاكمها يميل إلى الروس بمشاعر الود على الرغم من أنه يكسب رزقه من الإنجليز الذين يجهدون لإرضائه ولحمايته . . . والكويت (ولنجة) من الموانئ الرئيسية والمستودعات للسلع التجارية على الساحل العربي . وهو مكان لصيد السمك وعرق اللؤلؤ . ويتم تصدير عرق اللؤلؤ بكميات ضخمة إلى المرسى – فاسيلي رومانوف . ٢٠ أكتوبر ١٩٠٠م"[٤] .

وفي وقت لاحق، أي في عام ١٩٠١م، أعد (سيرو مياتنيكوف) كتاباً عن السفر إلى الخليج العربي لنشره باللغة الروسية .

ولم يكن عند الروس آنئذ إلا بيانات منتشرة عن منطقة الخليج مبنية على المصادر الخارجية . وكما ورد في مذكرة من وزارة المالية موجهة إلى المكتب الرئيسي للجمعية الروسية للملاحة البخارية والتجارة : "إن العائق الرئيسي هو عدم توافر المعلومات عن البلاد وعدم توافر المعلومات عن سير الأحداث هناك في وقت مناسب على الساحتين السياسية والتجارية"[٥] .

وفي رحلاتهم الأولية إلى الخليج استخدم الروس الخرائط الملاحية البريطانية لأن المنطقة كانت مجهولة للسفن الروسية . فكانت من مهام الرحلة إعداد الوصف للموانئ والخطوط الملاحية المساعدة للسفن الروسية التجارية . وكان هذا العمل مهماً لأنه مهد الطريق للسفن التجارية الروسية لإنشاء خط بحري بين موانئ البحر الأسود والخليج العربي بالإضافة إلى تنظيم رحلات لسفن القوات البحرية .

فكان الغرض من هذا الحصول على معلومات لازمة كمساعدة لتخطيط خطوات مقبلة يجب تنفيذها في المنطقة فليس من الغريب أن ثمرة الرحلات

الأولية كانت تدوين وصف للمنطقة من وجهات النظر المختلفة أي من حيث الملاحة والطقس والأعراف والتقاليد والإمكانيات العسكرية . . الخ .

وكانت الاكتشافات الأولية عن الخليج تدور حول رصد الأحوال الجوية من متن السفينة الحربية "جلياك" في الخليج العربي في عام ١٩٠٠م(٦) . وكانت "جلياك" في طريقها إلى الباسيفيك وقامت بزيارة لموانئ مختلفة في الخليج . ورصدت الأحوال الجوية كل ٤ ساعات . وقبل ذلك ما كان لدى الروس أي معلومات عن الطقس في الخليج . وكذلك كانت جلياك قد جمعت معلومات عن الظروف الملاحية في منطقة البصرة والكويت . فقد جاء في التقرير : "قد وظفنا مرشداً في بوشهر ليرشد سفينتنا في شط العرب بواقع ٦ روبيات لكل رحلة لكل قدم من العمق بالإضافة إلى رسوم الإرساء بروبيتين لكل يوم في البصرة . والحجر الصحي فيها يفرض على كل سفينة تجيء من أماكن خطرة ومن أي ميناء فارسي .

الكويت : إن الإحداثيات لمرسى الكويت كالآتي : الحافة الشمالية للمدينة إس دبليو ١٩° ورأس جزيرة قرين إس دبليو ٤٨° ووسط الهضبة رأس العشيرق إس دبليو ٧٢° ونصف الدرجة . وجبل البرج إس أو ١٧° ونصف الدرجة . والعمق ١٠ أقدام وفي الأسفل يوجد القرين والصدف . والمد والجزر بطيء حوالي ميل بحري واحد .

والشاطئ الرملي (يوحا) المذكور في الخريطة البريطانية ليس إلا جزيرة صغيرة وفيها بعض الأشجار . ويمكن استخدامها كنقطة المراجعة للدخول إلى ميناء الكويت(٧) .

ويذكر التقرير معلومات عن العلاقات بين المارينز الروس والسكان المحليين .

وتقول برقية سرية حول زيـارة جلياك إلى البصرة في ٣ مارس عام ١٩٠٠ م[٨] : "تلقت جلياك ترحيبا حاراً في البصرة رغم مكائد الإنجليز . وكان للزيارة أثر طيب على السكان المحليين" .

وفي وقت لاحق، أثناء زيارة الأسطولين الروسي والفرنسي "لقيت الطرادات ترحيباً في الخليج بحماس فوق العادة وأثارت زيارتهما تعليقات انتقادية نحو إنجلترا . ولما رأى الناس الضباط الروس والفرنسيين معا كل مرة، قالوا بأنه يرمز إلى بشرى سارة للخليج، ويخفض حدة مزاعم الإنجليز بأحقيتهم للحكم في الخليج"[٩] .

ومن عام ١٩٠١م بدأت رحلات تجارية منتظمة بالسفن البخارية بين روسيا ومنطقة الخليج مما سبب الخوف والحسد بين صفوف الإنجليز .

وأثناء الاستعدادات لانطلاق الرحلات الأولية الاختبارية للخليج العربي اعتماداً على المعلومات المتواجدة لديهم، قد عثروا على تقرير حول الظروف الملاحية في الخليج[١٠] من بين الوثائق الأرشيفية ويقول التقرير : "لا يوجد حتى ميناء واحد في الخليج العربي وخليج عمان المجاور وترسو السفن بالقرب من جسك أو البحرين أو بوشهر على بعد ٣ أميال من الشاطئ، وميلين ونصف الميل في بندر عباس، وميل ونصف الميل في لنجة من قصر الشيخ . وفي مسقط فإن البحر بقرب الشاطئ عميق جدا فترسوه السفن بالقرب من القلعة على بعد نصف الميل من قصر الشيخ" .

وفي عام ١٩٠٣م قام الطراد الروسي "بويارين" بزيارة الخليج وقد جاء ذكره في إحدى الوثائق الأرشيفية أيضاً[١١] .

"وفي ١٠ فبراير زرنا مسقط . ويواجه سلطان (عمان) في الوقت الحاضر مشاكل مالية ولم يدفع الرواتب لحرسه الخاص منذ ٤ شهور . ومدخوله قليل

جداً بسبب سوء الأحوال التجارية وقلة الضرائب التي هي المصدر الوحيد للدخل . بالإضافة إلى الإيجار الذي يحصل عليه من الحكومة البريطانية"(١٢) .

"وفي طريقنا إلى الباسيفيك تلقينا الأوامر لزيارة مسقط وميناء آخر من المواني الخليجية لمواصلة علاقات الصداقة والاحترام القائمة بين روسيا وجيرانها"(١٣) .

وقام المارينز بزيارة الكويت أيضا . ويتضمن تقريرهم وصفاً لقصور حكام الكويت ومسقط وكذلك ذكر الوضع السياسي في الخليج والأعراف والتقاليد الرائجة هناك . وحسب التقاليد المتبعة بها، يأخذ صاحب البيت قطعة من اللحم ويغطيها بالأرز، ويدخلها في فم ضيفه المفضل والمحترم .

ومن الموضوعات التي تعالجها بويارين بصفة خاصة، موضوع الملاحة في الخليج . ومنها وصف للمراسي والرياح وقاع البحر" . يكون المدخل إلى الكويت ملائماً في ساعات النهار فحسب أو أثناء الليالي المقمرة لأن المعالم المنخفضة لا يمكن رؤيتها إلا من قريب من السواحل"(١٤) .

ويوجد بعض المعلومات عن الخطط لبسط سكة الحديد إلى الكويت لأنه يضع حداً على قوتها"(١٥) .

ويذكر التقرير بأن أحسن وقت في السنة لزيارة السفن الروسية للكويت هو فبراير ومارس . "لأنه هادئ وعذب نسبياً رغم حدة رياح الشمال"(١٦) .

استغرب الروس من كثرة الأسلحة في الخليج . فجاء في التقرير : "لا يجوز تقديم الأسلحة كهدية، لأنها توجد بكثرة في الخليج من أنواع جيدة . ويمتلك السكان المحليون الأسلحة العادية والنارية على السواء" .

وعقب الرحلة الاختبارية للسفينة التجارية الروسية "كورنيلوف" من ٣ فبراير — ١١ مايو صدر تقرير(١٧) يتضمن وصفاً للموانئ الخليجية التي زارتها

السفينة البخارية ومنه (القنوات الملاحية، والمرشدين، ومواصفات السواحل، وعمق المياه في الموانئ والغشوت . . الخ) .

وبخصوص زيارتها لمسقط قد جاء الآتي : "وفي ٣ مارس في الساعة السابعة والنصف صباحاً وصلنا إلى مسقط . وميناؤها صغير وترسو فيه عدة سفن بواسطة الثقل على بعد حوالي ربع ميل من الساحل .

وبسبب فقدان الموارد لدى سلطان مسقط، فإنه يحصل على سبل العيش من حكومة الهند التي تمارس الضغط عليه ليخضع للنفوذ الإنجليزي . وكان سلطان مسقط مؤيداً للمشروع الجديد[١٨] . وردت قلعة مسقط بطلقات نارية تحية لسفينة "كورنيلوف" ورفعت لأول مرة العلم الروسي التجـــاري فوق القلعة[١٩] .

وفي عام ١٩٠٦م قامت السفن التجارية الروسية برحلات منتظمة مرتين في الشهر للخليج .وقد أعدت وثيقة تحت عنوان "وصف عن الخليج العربي المعد من دائرة الإحصاءات الخارجية لوزارة القوات البحرية الروسية" في ١٩٠٦م وفيها عن الزيارات الروسية السابقة للخليج[٢٠] .

" إن مساحة الخليج العربي ٥٢٥ ميلاً طولاً و٢٠٠ ميل عرضاً غالباً . وفي جنوبه يربطه بالمحيط الهندي \مضيق هرمز وعرضه ٢٨ ميلا .

والساحل الشمالي (إيراني) منطقة جبلية شديدة الانحدار ومنقطعة فجأة وبفجوات عميقة في الساحل . في حين يقع خليجان منخفضان في الجنوب على الساحل العربي، أي خليج هرمز وخليج البحرين . وعلى الساحل توجد صخور ووديان جافة . وعلى الساحل الشمالي سلسلة من الجبال .

هناك عدة قصبات تجارية عربية تماماً تحتكر التجارة الساحلية . والساحل الجنوبي رملي وقاحل ومهجور ولا توجد النخيل إلا بجوار القرى .

يمكن ذكر الصوف والجلود والعنبر . والكويت لا تستورد البضائع التجارية لأن السفن البخارية لا تزورها على العموم . غير أن السفن التجارية الروسية عند زياراتها للكويت تأتي بالبضائع كالكيروسين والخشب والقماش والفابريكات الخفيفة . .الخ .

وفي سلطنة عمان على ساحل خليج عمان تقع عاصمته مسقط وعدد سكانها ٥٠,٠٠٠ نسمة .

تشكل مسقط الميناء الرئيسي والوحيد في سائر عمان . وتبلغ صادراتها ٤ ملايين روبل سنوياً . ومن صادراتها الرئيسية يجدر ذكر التمر الذي ينضج قبل شهرين من تمر البصرة، والفواكه والسمك . وتبلغ قيمة الواردات السنوية ٨ ملايين روبل وتتكون بصفة رئيسية من الأرز والقهوة والسكر والسلع الخفيفة والمنسوجات والقمح والحبوب الأخرى، والأسلحة . وتزور مسقط سنوياً حوالي ٨٠٠ سفينة تجارية، وتقوم شركة ملاحية إنجليزية برحلات أسبوعية من كل من بومباي والسويس حاملة الخراف . وتوجد معادن فحم في جنوب مسقط .

جزر البحرين :

يملك الإنجليز جزراً كثيرة في الخليج . والجزيرة الرئيسية (البحرين) في الأرخبيل تمتد إلى ٢٧ ميلاً طولاً و١٠ أميال عرضاً . والجزر الصغيرة الأخرى هي كل من المحرق(٢٢)، وسترا ونبيه صالح (خصبة جداً) والجزيرة (جزيرة صغيرة وفيها نخلة) . ويبلغ عدد سكان هذه الجزر ٧٠ ألف نسمة . والمدينة الرئيسية هي المنامة وتقع في جزيرة البحرين وعدد سكانها ٢٥ ألف نسمة . ويبلغ عدد سكان المحرق ٢٢ ألف نسمة . وتقع مدينة البديع في جزيرة البحرين ومدينة الحد في جزيرة المحرق . ويبلغ عــدد القرى في الجزيرتين مائة قرية .

ويشكل صيد اللؤلؤ الحرفة الرئيسية وتشارك فيه حوالي ٩٠٠ سفينة ويتكون طاقم كل سفينة من ٨ إلى ٤٠ رجلا . وتنتج البحرين التمر والبرسيم وتوجد فيها حيوانات والحمير من نوع ممتاز، كما تنتج البحرين قماش الأشرعة والحصران من القصب . وتبلغ صادراتها ٩ ملايين روبل والواردات ١٠ ملايين روبل[٢٣] .

وخلاصة القول، توفر لنا هذه الوثائق معلومات قيمة عن الأوضاع في المنطقة، وعن الأعراف والتقاليد المتبعة بها والاتجاهات في التطورات السياسية والعسكرية والاقتصادية، كما أنها تلقي الضوء على بعض الجوانب الغامضة في العلاقات الروسية الخليجية، ويمكن اعتبارها كمصدر هام للمؤرخين .

أوليج ردكين

الهوامش

١ – يعتمد هذا البحث على الوثائق الموجودة في الأرشيفات الرسمية الروسية وأرشيفات البحرية الروسية، سان بطرسبرج .

٢ – ضابط مدني من الدرجة الثامنة في روسيا القيصرية .

٣ – الأرشيفات التاريخية الرسمية، تقرير رومانوف فاسيلي اليكسيفيتش المؤرخ في ٢٠ أكتوبر ١٩٠٠م . مجلد ن ١٠٧ ن ١ الجمعية الروسية للملاحة البحرية والتجارة . ١٨٥٦ – ١٩١٨م .

٤ – نفس المصدر السابق .

٥ – الأرشيفات التاريخية الرسمية، مذكرة وزارة المالية إلى الجمعية الروسية للملاحة البخارية والتجارة، مجلد ن ١٠٧ ملف ن ١ .

٦ – الأرصاد الجوية من متن جلياك .

٧ – أرشيفات البحرية، مجلد ن ٤١٧، ملف ١، وثيقة ٢٠٣٧ .

٨ – أرشيفات البحرية، مجلد ن ٤١٧، ملف ١، وثيقة ٢٠٣٢ .

٩ – أرشيفات البحرية، مجلد ن ٤١٧، ملف ١، وثيقة ٢٦١٣ .

١٠ – نفس المصدر السابق، وثيقة ٢٠٣٢ .

١١ – نفس المصدر السابق .

١٢ – تقرير لقائد الطراد بويارين المؤرخ في ٣١ مارس ١٩٠٣م . أرشيفات البحرية، وثيقة رقم ٢٦١٣ .

١٣ – نفس المصدر السابق .

١٤ – نفس المصدر السابق .

١٥ – نفس المصدر السابق .

١٦ – نفس المصدر السابق .

١٧ — الأرشيفات التاريخية الرسمية . تقرير عن رحلة السفينة البخارية "كورنيلوف" من ٣ فبراير إلى ١١ مايو ١٩٠١م .

١٨ — أي إنشاء خط بحري بين روسيا والخليج .

١٩ — الأرشيفات التاريخية الرسمية . تقرير عن رحلة كورنيلوف، المجلد ن ١٠٧، ملف ن ١، الجمعية الروسية للملاحة البخارية والتجارة، ١٨٥٦م — ١٩١٨م .

٢٠ — أرشيفات البحرية المجلد ٤١٨، ملف ١، وثيقة ٣٩٠٧، ويبنى التقرير على المصادر التالية :

١) تقرير قبطان السفينة جلياك عن الزيـــارة في عام ١٩٠٠م .

٢) تقرير قبطان كورنيلوف ١٩٠١م .

٣) تقرير قائد الطراد "اسكولد" ١٩٠٢م .

٤) تقرير قائد بريارين ١٩٠٣م .

٥) مجموعة التقارير من القناصل — ١٨٩٨ — ١٩٠٦م .

٢١ — وصف للخليج العربي أوردته دائرة الإحصائيات الخارجية لوزارة البحريـــة الروسية . أرشيفـــات البحريـــة، مجلد ٤١٨، ملف ١، وثيقة ٣٩٠٧ .

٢٢ — الأسماء كما وردت في الوثيقة الروسية .

٢٣ — أرشيفات البحرية، المجلد ٤١٨، ملف ١، وثيقة ٣٩٠٧ .

من التراث القديم

محمد بن سعيد بن علي بن حمود

وجهوده من أجل خدمة الدين واللغة العربية

لاشك أن تراث الشعوب هو الذي أملى تاريخها عبر العصور الخالية، فمن ذلك التراث ما يحكي تاريخ الأمم كالآثار والنقوش والمخطوطات والمسكوكات وكل ما يتعلق بحياة الإنسان ومنها ما تناقله الخلف عن السلف من أساطير وقصص وأمثال وأنواع المعارف والعلوم وما قدمه الأفراد والجماعات من إضافات للفكر البشري . وقد ساهمت الأمم في بناء صرح الثقافة البشرية العتيد، والأمة العربية والإسلامية لها نصيب في ذلك البناء، فخلفت تراثاً خالداً تشهد آثاره البادية للعيان على ذلك، ففي كل بلد عربي، وكل بلد وطئته أقدام المسلمين يرى الباحث آثار ذلك التراث، والبحرين واحد منها حيث ضم ثراه الكثير من الآثار، واحتضنت أرضه تراثاً يقص علينا سير الماضين ويروي أخبارهم ويبرهن على مدى مساهمتهم في الفنون والتجارة والصناعة والعمارة وفوق أرضه الكتب المخطوطة في شتى فروع المعرفة من العلوم والآداب والفنون، ووثائق فيها الكثير من الأخبار التي تعكس العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وسوف نعرض لبعض من ساهموا في نشر العلم والمعرفة ومنهم "الشيخ محمد بن سعد بن علي بن حمود" من أعلام القرن الثالث عشر الهجري . ذلك القرن الذي أقبل فيه طائفة من العلماء على طلب العلم وتعليمه علوم الدين واللغة العربية والتصوف والفلسفة وعلم الكلام والشعر . ومنهم الشيخ عبد اللطيف الصحاف المالكي، وابنه إبراهيم، والشيخ راشد بن عيسى المالكي، وحسن بن يوسف الطيور، والشيخ عبد المحسن بن جابر الحنبلي، والشيخ محمود بن عبد الله آل محمود الشافعي، والشيخ قاسم بن مهزع . وجلهم تولوا القضاء في البحرين ومنهم من خلّف تراثاً علمياً وأدبياً سوف تظهره الأيام .

لقد ولي محمد بن سعد الإمامة لجامع المنامة الكبير، أو مسجد الفاضل في البحرين سنة ١٢٧٠هـ على ما أورده محمد بن علان الصديقي في مخطوطته الموسومة (الحظر والتحريم) . وكان كثير النسْخ والنقل . فقد كتب أكثر من خمسين كتاباً بقلمه فخلّف مكتبة احتلت حجرات داره المقابلة لمسجد الفاضل كما كان أبناؤه ممن تولوا القضاء والإمامة وألفوا ونسخوا . وكانت مدرسة الشيخ محمد بن سعد في مسجد المنامة في القرن الثالث عشر الهجري تحوي مقررات ثابتة ومتقدمة، حفظها أبناؤه من بعده خاصة وأن "إبراهيم بن محمد بن سعد" كان هو الآخر قد نسخ كتاباً أسماه (شرح الورقات)في سنة ١٢٩٧هـ . وله مختصر على متن الأجرومية بخطه . وساهم الشيخ "عبد اللطيف بن محمد بن سعد" بكتابه المسمى (الرحبية) للشنشوري نسخه سنة ١٣٢١هـ . وكتب "علي بن محمد بن سعد" كتاب (توضيح الأجرومية) .

أما مخطوط (أسنى المطالب في صلة الأقارب) لابن حجر الهيتمي نزيل مكة، فقد نسخه عبد الله بن علي بن محمد بن سعد سنة ١٢٨٤هـ ويقع في أكثر من ستمائة صفحة وقد ختمه بقوله :

كنت قد أيقنت يوم كتبته يدي تفنى ويبقى كتابها

لم تكن المخطوطات التي كتبها الشيخ محمد بن سعد في علوم الدين فحسب بل وفي اللغة العربية .. قواعدها وعروضها .. شعرها ونثرها، ثم في علم الطب والفلك وحساب المواريث . وكان يراسل عشرة من العلماء وهم يراسلونه، يسألونه وهو يجيب . ومن ذلك رسالة أرسلها الشيخ قاسم بن مهزع وجهها له وهو يطلب أن يرسل إليه كراسات علم ويرسل الفتاوى بتوقيعه إلى الشيخ جاسم المهزع مؤرخة في سنة ١٣٠٥هـ حول حكم القضاء في أمر امرأة تركها زوجها سنين عددا فكان يجيبهم جواب القاضي العالم بأحكام الشريعة .

ويبدو أن مدرسة بن سعد في مسجد المنامة في القرن الثالث عشر الهجري كانت تحوي مناهج ومقررات ثابتة تدل عليها مخطوطاتهم وقد أثبتوا عليها أقوالهم في كتاب مقرر ينبغي قراءته للصبيان عند ابتدائهم التعلم في علم النحو كما هو منسوخ بخط المؤلف الشيخ محمد بن سعد وهو (شرح مختصر جداً على متن الأجرومية) نسخه في ١٢٩٩هـ ويقع في ثمان وأربعين صفحة . ومثله (فتح القريب للأصفهاني) وهو من الكتب التي كانت مقررة في القرن الماضي وقد جاء فيه :

لا تحزنن على الصبيان إن ضُربوا الضرب يفنى ويبقى العلم والأدب
لولا المعلم كان الناس كلهم مثل البهائم لا علم ولا أدب

ويبدو أن الشيخ بن سعد بدأ في التأليف والنسخ منذ سنة ١٢٤٤هـ حين نسخ ديوان خطب منبرية . واستمر في الكتابة حتى عام ١٢٩٩هـ حيث كتب في الفرائض كتاباً يقع في ثمان وأربعين صفحة . وكان ينهي كتبه بقوله :

إن تجد عيباً فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

ورغم أن الشيخ بن سعد قد كتب أكثر من خمسين كتاباً بقلمه بما يزيد على تسعة آلاف صفحة في نحو مائة وثمانين ألف سطر أي بمعدل عشرين سطراً لكل صفحة فيكون ما دبجه حوالي ألف ألف وثمانمائة ألف كلمة أو مليون وثمانمائة ألف كلمة . إلا أننا لم نعثر على ترجمة حياته أو طرفاً من أحداث عصره أو ذكر عن مشايخه وتلامذته لا في القليل ولا من كثير . وربما فقدت بعض مؤلفاته أو سنعثر عليها في المستقبل إن شاء الله . توفي رحمه الله في سنة ١٣٠٧هـ في البحرين .

(أنظر : البحرين اليوم، ١٩٧٦م، ص١٨، من التراث القديم للدكتور علي أباحسين)